الاحتجاج للقراءات القرآنية

أ. م. د. سامي عبد الله الجميلي

قسم اللغة العربية . كلية التربية للبنات

جامعة الأنبار

ملخص البحث

نالت القراءات القرآنية اهتمام العلماء والباحثين وألفوا فيها الكتب التي توثقها وتنسبها إلى أصحابها، ولكل قراءة ما يدعمها ويعززها، وقد تناول العلماء من المفسرين واللغويين والنحاة هذا الجانب وأولوه عنايتهم واهتمامهم، فألفوا فيه الكتب التي سميت بـ (الاحتجاج للقراءات) وذكروا فيها الحجج لكل قراءة، وقد تنوعت هذه الحجج وتعددت، فكان منها القرآن الكريم والقراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف وكلام العرب شعرا ونثرا، وكذلك احتجوا بمعنى الألفاظ التي اختُلِف في قراءتها، واحتجوا كذلك بإعرابها وتصريفها وغير ذلك من أمور، وقد درست في هذا البحث هذه الحجج وبينت أنواعها وجهود العلماء فيها بشيء من التفصيل.

Abstract

Quranic readings were of great concern to scientists and researchers who wrote books that document and relate each of those readings to its supporters. Each reading has evidence that supports and enhances it. Scientists such as interpreters, linguists, and grammarians had dealt with this side with great care and attention. They wrote books which are called (protestation for the readings) in which they mentioned evidence that supports each reading this evidence was of great diversity to include; the Holy Quran, the quranic readings, the prophetic tradition, and the Arab language whether in prose or poetry. They also pose the meanings of the expressions which were read differently, making use of their parsing and inflection, as well as some other factors. The researcher has dealt with this evidence in some detail indicating all the types and the scientists endeavor in this respect.

معنى الاحتجاج:

الاحتجاج: مصدر احتج، أي قدَّم حُجَّة، والحُجَّة هي: "الدليل والبرهان"(١)، قال الأزهري: "الحجة: الوجه الذي يكون الظفر عند الخصومة ... يقال: حاججته أُحاجُّه حِجاجا ومحاجَّة حتى حججته، أي: غلبته بالحجج التي أدليت بها"(٢)، وقال الكفوي: "وما ثبت به الدعوى من حيث إفادته للبيان يسمى بَيِّنة، ومن حيث الغلبة به على الخصم يسمى حُجَّة"(٣)، والذي يبدو أنَّ هذه التعريفات كلها تدور حول معنى واحد وهو أن الحجة ما يتخذه الخصم وسيلة للغلبة على خصمه، ودليلا وبرهانا على صحة دعواه(٤).

والاحتجاج للقراءة يراد به بيان صحتها من جهة العربية، لا بيان صحتها من جهة السند والرواية، وقد عبروا عنه بتوجيه القراءات وتبيينها، أي: بيان وجه اختيار القراءة من بين القراءات الصحيحة المتواترة(٥).

ويعد الاحتجاج للقراءات القرآنية من الأمور المهمة التي نرى أنه من الضروري البحث فيها، وذلك لأن القراءات القرآنية قد اختلفت وتعددت عند القرّاء، وكل قارئ له قراءته وله الحجج والأدلة التي تدعم هذه القراءة، وقد بحث العلماء هذه الحجج، ولهم في هذا الميدان مؤلفات قيِّمة بينوا فيها الحجج بشكل مفصَّل ووافٍ، ومن أهم هذه المؤلفات:

١ . حجة القراءات للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة من علماء القرن الهجري الرابع.

٢ . الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ).

٣ . الحجة للقراء السبعة لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ).

٤ . الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

ومن الملاحظ أنَّ مؤلفي هذه الكتب اتبعوا منهجا يكاد يكون موحدا، فقد أوردوا الآيات بحسب تسلسل السور، ثم عرضوا القراءات الواردة فيها ونسبوها إلى أصحابها، ثم عرضوا الحجج والأدلة المختلفة التي يُحتجّ بها لكل قارئ.

ولم تنفرد كتب الاحتجاج ببيان الحجج، وإنما نجد الاحتجاج للقراءات مبثوثا في كتب إعراب القرآن ومعانيه وتفسيره، ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

---

(١) لسان العرب لابن منظور (حجج) ٢/٢٢٨.

(٢) تهذيب اللغة له (حجج) ٢/٢٥١.

(٣) الكليات للكفوي: ٣٣٨.

(٤) الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي لسيدي عبد القادر الطفيل: ١٧١.

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٢٣٢ وحجة القراءات لأبي زرعة: ٣٤،٣٥ (مقدمة المحقق).

١ . معاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـ)(١).

٢ . معاني القرآن للأخفش (ت ٢١٥هـ).

٣ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت٣١١هـ)(٢).

٤ . الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)(٣).

٥ . التبيان في إعراب القرآن (ت٦١٦هـ)(٤).

وسأقتصر البحث في القراءات السبع لئلا يطول الحديث عن الحجج أكثر مما ينبغي، وفيما يأتي بيان مفصل لهذه الحجج:

أولا: الاحتجاج بالقرآن الكريم

وقد احتج بآيات من القرآن الكريم للقراءات القرآنية بشكل واسع، وفيما يأتي عرض لطائفة من تلك الآيات التي احتُج بها:

١ . التاء والياء (الخطاب والغيبة):

قرأ قسم من القراء الأفعال بالتاء على الخطاب في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، في حين قرأها القسم الآخر بالياء، واحتج لكل قسم منهم بآيات من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾ [البقرة: ٧٤ – ٧٥]، فقد قرأ ابن كثير قوله تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء، أي: وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصصهم أيها المسلمون، فقد قرأ كلَّ ما في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء، إلا ثلاثة مواضع: قوله: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ البقرة: ٧٤ وقوله: ﴿يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ البقرة: ٨٥ وقوله: ﴿لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ البقرة: ١٤٤ بالياء، وقرأ ما كان من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ الأنعام: ١٣٢ و ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ النمل: ٩٣ بالياء، وقرأ نافع هذه المواضع الثلاثة: موضعين: البقرة [الآيتان:٨٥ و١٤٤] بالياء، وسائر القرآن بالتاء، وقرأ بالتاء: آخر سورة هود [الآية: ١٢٣] وآخر سورة النمل [الآية: ٩٣]، وقرأ ما ورد في سورة الأنعام [الآية: ١٣٢] بالياء، وقرأ ابن عامر كلَّ ما جاء في القرآن من قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ البقرة: ٧٤ بالتاء، وكذلك قرأ في سورة الأنعام وسورة هود [الآية: ١٢٣] بالتاء أيضا، وقرأ في آخر سورة النمل بالياء، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: سورة البقرة [الآيتان: ٨٥ و١٤٤] بالياء، وسائر القرآن بالتاء، وذكر أبو بكر بن عيّاش عن عاصم أن كل ما في القرآن من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾

---

(١) ينظر مثلا:١/ ٢٠٨ . ٢٠٩ و ٢٣٤ و ٢٥٨. وكان الفراء أكثرهم احتجاجا للقراءات.

(٢) ينظر مثلا: ١/٢٧٨ . ٢٧٩ و ٢٨٨ . ٢٨٩ و ٣١٤ . ٣١٥.

(٣) ينظر مثلا: ١/١٦٩ و ٢٢٩ . ٢٣٠ و ٢٩٠.

(٤) ينظر مثلا: ٣٤٣ و ٣٧٩ و ٤٩٥.

بالياء، وقال حفص عن عاصم أن سورة البقرة [الآية: ١٤٤] بالياء، وسائر القرآن بالتاء، وقال حفص أيضا: قرأ عاصم في سورة الأنعام [الآية: ١٣٢] بالياء، وقرأ آخر سورة هود وآخر سورة النمل بالتاء مثل قراءة نافع، وقرأ أبو عمرو ما ورد في سورة البقرة [الآية: ١٤٤ و ١٤٩] بالياء، وسائر القرآن من قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء، وما كان من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ فهو بالياء، وقرأ حمزة والكسائي كل ما كان من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء، وما كان من قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء[١].

فما كان قبله خطاب جُعل بالتاء، وذلك ليكون الخطاب معطوفا على خطاب مثله كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ البقرة: ٧٤، وذكروا أنه لو قرئ بالياء على لفظ الغيبة، أي: وما الله بغافل عما يفعل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قَصَصَهم أيها المسلمون؛ لكان حسنا، فإن الذي كان قبله غيبة حسن أن يُجعل على لفظ الغيبة ليُعطف ما للغيبة على مثله كما عُطف ما للخطاب على مثله، وحجة ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ البقرة: ١٤، ويجوز فيما كان قبله لفظُ غيبة الخطابُ، وذلك أن يجمع بين الغيبة والخطاب فيصير كتغليب المذكر على المؤنث[٢].

لذلك فإننا نجد مجيء الكلام بعد المخاطبة وإجراءه على لفظ ما تقدمه حجة لعدد من القراء كما هو الحال عند حمزة والكسائي في قراءة: ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ بالتاء من قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ يونس: ١٨، وحجتهما فيما ذهبا إليه ما تقدمه[٣]: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾ و ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ الروم: ٤٠، وذلك لأن ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ أتى عقيب الخطاب في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ﴾ فجرى ما بعد ذلك على لفظ ما تقدمه من الخطاب[٤].

وأحيانا نجد أن جمهور القراء . ما عدا أبي عمرو . يذهبون إلى القراءة بالتاء على الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الفتح: ٢٤، وحجتهم في ذلك ما تقدمه من خطاب[٥] في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ الفتح: ٢٤، وكذلك قرؤوا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ الحجرات: ١٨ بالتاء خطابا للحاضرين، ووجه التاء أن قبله خطابا، وهو قوله: ﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ الحجرات: ١٧، وقرأ ابن كثير وعاصم بالياء على معنى الغيبة، ووجهه أن قبله غيبة[٦] وهو قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ الحجرات: ١٥.

---

[١] الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي١/ ٣١٧ . ٣١٩ وحجة القراءات: ١٠١، ١١٧.

[٢] الحجة للقراء السبعة ٣/٣١٨، ٣١٩ والكشف عن وجوه القراءات السبع لابن أبي طالب القيسي: ١٥٧، ١٥٨.

[٣] حجة القراءات: ٣٢٩.

[٤] حجة القراءات: ٥٥٩.

[٥] الحجة للقراء السبعة ٣/ ٤١٠ وحجة القراءات: ٦٧٤.

[٦] الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ٢١٥ والحجة للقراء السبعة ٣/ ٤١٥.

وقد نجد ما تقدم القراءة يكون حجة للقراءة بالياء على الغيبة كما في قوله تعالى: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الملك: ٢٩، فقد قرأه الكسائي: ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ بالياء، وحجته في ذلك أن ذكر الغيبة تقدم في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الملك: ٢٨، في حين قرأه الباقون بالتاء: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ لتقدم لفظ الخطاب، أي: قل لهم، وحجتهم في ذلك(١) قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ ﴾ الملك: ٢٨، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الزخرف: ٨٥، فقد قرأه ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿ يُرْجَعُونَ ﴾ بالياء المضمومة، وحجتهم في ذلك أنه جاء بعد الخبر عنهم في قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ الزخرف: ٨٣، فقد أجروه على ما قبله لأنه في سياقه وذلك ليأتلف على نظام واحد(٢).

وقد يحتج القراء للقراءة بما يأتي بعدها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ النحل: ٧١، فقد قرأ القراء . ماعدا أبي بكر . بالياء، ردوه على لفظ الغيبة الذي بعده، وحجتهم في ذلك(٣) قوله تعالى: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ النحل: ٧٢، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ الفتح: ٢٤، وقرأ أبو عمرو بالياء: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾، رده على لفظ الغيبة، وحجته في ذلك ذكرها اليزيدي فقال: يدلك عليها قوله بعده(٤): ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الفتح: ٢٥.

وقد يكون ما تقدم الآية وما تأخر عنها عند القراء حجة لاختيار لقراءة(٥)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ النحل: ٢٠، فقد قرأها القراء . إلا عاصما . بالتاء: ﴿ تَدْعُونَ ﴾ ، وحجتهم ما تقدم وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النحل: ١٨، وما تأخر وهو قوله تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ٢٢، ويؤيد هذا ما ذكره أبو عبيد؛ أن القرّاء يختارون للمخاطبة ما قبلها وما بعدها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾الأنعام: ٩١، وهي قراءة القرّاء من غير ابن كثير وأبي عمرو، فالتي قبلها قوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ والتي بعدها قوله تعالى: ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾الأنعام: ٩١، والمقصود به: وعلمتم فيما أنزله عليكم في الكتاب ما لم تعلموا، فقراءتهم ما توسط بين الخطابين من الكلام على لفظ ما قبله وما بعده وذلك ليأتلف نظام الكلام على سياق واحد أولى(٦).

ومما يندرج تحت هذا قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ الكهف: ٧١، فقد قرأه حمزة والكسائي بالياء: ﴿لِيَغْرَقَ﴾ بفتح الياء والراء، و ﴿أهلُها﴾ بالرفع فاعلا له، فقد جعلا الفعل لهم كأنه

---

(١) حجة القراءات: ٧١٦.

(٢) الحجة للقراءات السبعة ٣/٣٨٢ وحجة القراءات: ٦٥٥.

(٣) حجة القراءات: ٣٩٢.

(٤) حجة القراءات: ٦٧٤.

(٥) حجة القراءات: ٣٨٧.

(٦) حجة القراءات: ٢٦٠ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٧٨.

قال: أخرقت السفينة لترسوَ في البحر فيغرق فيه أهلُها، وقرأ الباقون: ﴿لِتُغْرِقَ﴾ بالتاء المضمومة وكسر الراء على ما لم يسمّ فاعله، ونصبوا ﴿أَهْلَهَا﴾ مفعولا له، أنهم أجروه على الخطاب للخضر من موسى عليهما السلام، فالمخاطب هو الفاعل، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ فجعلوا الفعل الثاني مثل الأول(١).

٢ . النون والياء (الإفراد والجمع):

وكذلك ورد الاختلاف بين القراءات في حرف المضارعة، فمن القراء من قرأ بصيغة الإفراد ومنهم من قرأ بصيغة الجمع ولكل حجته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ آل عمران: ٤٨، فقد قرأ نافع وعاصم: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بالياء، وهو إخبار عن الله تعالى أنه يعلمه الكتاب، وحجتهما قوله تعالى قبله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ آل عمران: ٤٧، وقرأ الباقون: ﴿وَنُعَلِّمُهُ﴾ بالنون، أي: نحن نعلمه، واحتجوا له بقوله المتقدم(٢): ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ آل عمران: ٤٤، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ آل عمران: ٥٧، فقد قرأه حفص بالياء: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: فيوفيهم الله، وحجته قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ آل عمران: ٥٧، وقرأ الباقون بالنون: ﴿فَنُوَفِّيهِمْ﴾، فقد أخبر الله تعالى عن نفسه، وحجتهم في هذا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ آل عمران: ٥٦، ولم يقل: فيعذبهم(٣).

وقد يكون السياق عاملا مهما في اختيار القراءة، ومن ذلك قراءة القراء . عدا نافع وابن عامر . لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ النساء: ١٣ و ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ النساء: ١٤ بالياء ﴿يُدْخِلْهُ﴾، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ النساء: ١٣، ليكون الكلام ذا سياق واحد، فلو كان بالنون لكان الفعل الأول: ومن يطعنا ندخله، فلما كان ﴿يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ على معنى: يدخله الله(٤).

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٤، فقد قرأ أبو عمرو وحمزة: ﴿فسوف يؤتيه﴾ بالياء، أي: فسوف يؤتيه الله أجرا عظيما، وحجتهما أنه قريب من ذكر ﴿ٱللَّهِ﴾ وهو قوله: ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾، فقد جعلا الفعل بعده على لفظ ما تقدمه ليأتلف على سياق واحد، ونجد الباقين قرؤوه بالنون: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾، وحجتهم ما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٧٤، فهم ردوا ما

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٣/ ٩٤ . ٩٥ وحجة القراءات: ٤٢٣.

(٢) الحجة في القراءات السبع: ٥٢ وحجة القراءات: ١٦٣.

(٣) الحجة في القراءات السبع: ٥٢ وحجة القراءات: ١٦٤.

(٤) حجة القراءات: ١٩٣ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٦٠.

اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه وهو قوله تعالى: ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾ النساء: ١١٥، بالنون(١).

ومثله قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم برواية حفص لقوله تعالى: ﴿ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ يونس: ٥، بالياء إخبارا عن الله تعالى، وحجتهم في ذلك ما تقدمه في قوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ يونس: ٥، فجعلوا الفعل مسندا إليه بلفظ التوحيد كأنه قال: يفصل الآيات، و قرأه الباقون بالنون: ﴿ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ وحجتهم أن مثل هذا كثير في القرآن الكريم منه: ﴿ فَصَّلۡنَا ﴾ و ﴿ نُفَصِّلُ ﴾ بلفظ الجمع، فألحقوا به ما كان له نظيرا، وذلك ليكون الكلام على سياق واحد(٢).

والسياق جعل ابن كثير وأبا عمرو يقرآن قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم ﴾ الإسراء: ٦٨ - ٦٩ كله بالنون، يخبر الله ﷻ عن نفسه، وقد ذكر اليزيدي حجتهم فقال: لقوله ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾ الإسراء: ٦٩، كأنه لما أتى الكلام بعده بلفظ الجمع جعل ما قبله على لفظه ليأتلف نظام الكلام على سياق واحد، في حين قرأ الباقون بالياء إخبارا عن الله تعالى، وحجتهم في ذلك أن الكلام ابتدئ به بالخبر عن الله تعالى بلفظ التوحيد فقال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ الإسراء: ٦٦، و ﴿ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ الإسراء: ٦٧، فجعلوا ما أتى بعده من الكلام جاريا على معناه وذلك لأن القصة واحدة والكلام فيها يتبع بعضه بعضا(٣).

وهذا نجده واضحا في قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ النحل: ٩٦، فقد قرأ ابن كثير وعاصم بالنون: ﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّ ﴾ إذ أخبر الله عن نفسه، وحجتهم في هذا الوجه إجماعهم على قوله في الآية بعدها: ﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ النحل: ٩٧ بالنون، وقرأ الباقون بالياء: ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ إخبارا عن الله تعالى، وحجتهم فيما ذهبوا إليه قوله تعالى قبله: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ النحل: ٩٦، وهذا من باب عطف الآية على مثلها لئلا تقطع مما قبلها(٤).

وقد تكون كثرة الآيات التي تقرأ بلفظ الجمع حجة لمن قرأ بالنون كما قرأ حمزة والكسائي قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ مريم: ٩: ﴿خلقناك﴾ بالنون والألف، فقد جاء لفظ الجمع بعد لفظ الإفراد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ الحجر: ٨٥ و ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ﴾ الأعراف: ١١ و ﴿ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾ النبأ: ٨ و ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ الصافات:

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢٧٢ وحجة القراءات: ٢١١.

(٢) حجة القراءات: ٣٢٧ وينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٣٦٤.

(٣) حجة القراءات: ٤٠٦.

(٤) الحجة للقراء السبعة ٣/٤٤ وحجة القراءات: ٣٩٣.

١١، وكلها من إخبار الله تعالى عن نفسه، في حين نجد القراء الباقين لم يعتدوا بهذه الكثرة وإنما اعتدوا بقربه من قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ مريم: ٩ ولم يقل: ﴿ عَلَيْنَا ﴾ فلذلك قرؤوا بالتاء: ﴿ خَلَقْتُكَ ﴾ ، لأن الكلام جاء بعده جاريا على لفظه، إذ هو في سياقه ولم يعترض بينهما بكلام يوجب صرفه عن لفظ ما تقدمه إلى لفظ الجمع[١].

٣ . المبني للمجهول:

ومن مظاهر اختلاف القراءات القرآنية الاختلاف في صيغة الأفعال، فمنها ما كان مبنيا للمعلوم ومنها ما كان مبنيا للمجهول، فنجد فريقا قرأ بصيغة البناء للمعلوم، ونجد فريقا آخر بصيغة البناء للمجهول، ولكل فريق الحجج التي تدعم قراءته، ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

ففي قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾البقرة: ٢٨١، قرأ أبو عمرو: ﴿تَرْجِعون﴾ بفتح التاء وكسر الجيم، على صيغة البناء للمعلوم أي: تصيرون، فنسب الفعل إلى الفاعلين، وحجته قوله: ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة: ٤٦، فأسند الرجوع إليهم، وقرأ الباقون: ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ بضم التاء وفتح الجيم، ببناء الفعل على المجهول، أي: تُرَدون، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام: ٣٨ و ﴿ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ العنكبوت: ٢١، فأسند الفعل إلى غيرهم[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ البقرة: ٢١٠، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم: ﴿ تُرْجَعُ ﴾ بضم التاء وفتح الحاء، على صيغة البناء للمجهول، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾الأنعام: ٦٢ وقوله: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ الكهف: ٣٦، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿تَرْجِع الأمورُ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم، بنوا الفعل للمفعول، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ الشورى: ٥٣، ولم يقل: تُصار، فلما أسند الفعل إليها بإجماع القراء ردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، وروى خارجة عن نافع أنه قرأ: ﴿ وَإِلَى اللَّهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ بالياء المضمومة ولم يروه غيره[٣]، ويبدو أن المعنيين على هاتين القراءتين يتداخلان، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي يَرجع الأمور، فإذا رجعها رجعت، فهي على هذا مرجوعة وراجعة[٤].

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ هود: ١٢٣، فقد قرئ: ﴿ يُرْجَعُ ﴾ بضم الياء وفتح الجيم على صيغة البناء للمجهول، أي: يُردّ الأمر كله إلى الله، على قراءة نافع وحفص عن عاصم، و ﴿يَرجِع﴾ بفتح الياء وكسر الجيم، أي: يصير الأمر إليه على قراءة الباقين[٥]،

ويكون تداخل المعاني في أكثر من موضع من القرآن الكريم مصاحبا لاختلاف القراءات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ النساء: ١٢٤ [٦]، فقد قرأ ابن كثير وأبو

---

[١] حجة القراءات: ٤٣٩ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٣/١١٧.

[٢] حجة القراءات: ١٤٩.

[٣] الحجة للقراء السبعة ١/ ٤٢٨ و حجة القراءات: ١٣٠ . ١٣١.

[٤] حجة القراءات: ١٣١.

[٥] حجة القراءات: ٣٥٣ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ١٠٨.

[٦] وينظر: ﴿ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ الأعراف: ٤٠: الأعراف:٤٠ ومريم:٦٠ وغافر: ٤٠.

عمرو: ﴿يُدْخَلون﴾ الجنة، بضم الياء وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ الحجر: ٨، فقد قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿ما تُنَزَّل﴾ بضم التاء وفتح الزاي المشددة على ما لم يسم فاعله و ﴿الملائكةُ﴾ بالرفع ، وحجته قوله تعالى: ﴿ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٥، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ﴾ بالنون المضمومة وكسر الزاي المشددة و ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ بالنصب، فقد أخبر الله عن نفسه، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ الأنعام: ١١١، فلما كانت الملائكة مُنَزَّلين بإجماع القراء رُدَّ ما اختُلف فيه إلى ما أُجمع عليه، وقرأ الباقون: ﴿تَنَزَّل﴾ بالتاء المفتوحة(١) و ﴿الملائكةُ﴾ بالرفع، وحجتهم الإجماع على قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ القدر: ٤ و ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾مريم: ٦٤، على أن التنزيل مسند إلى الملائكة، ومع اختلاف القراءات فإننا نجد أن المعنيين يتداخلان لأن الله لما أنزل الملائكة نزلت، وإذا نزلت الملائكة فبإذن الله نزلت(٢).

رأينا فيما مضى أن عددا من القراء يعتدّ بإجماع القراء في الاحتجاج لقراءته، في حين نجد أن الآخرين يعتدون بسياق الكلام في الاحتجاج لقراءتهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٤٧، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿تُسَيَّر﴾ بضم التاء وفتح الياء على ما لم يسم فاعله و ﴿الجبالُ﴾ مرفوع به، وأتى بالتاء لتأنيث الجبال لأنها جمع لغير الآدميين، وذلك لأنهم احتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ النبأ: ٢٠، والمستقبل منه (تُسَيَّر)، فقد ردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه.

وأما نافع وحمزة والكسائي فقد قرؤوا: ﴿نُسَيِّر﴾ بالنون المضمومة والياء المكسورة، و ﴿الجبالَ﴾ بالنصب بتعدي الفعل إليها، إذ أخبر الله تعالى عن نفسه، واحتجوا لهذا بقوله تعالى بعده: ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٤٧، ولم يقل: (وحُشروا فلم يُغادَر)، وألحقوا الكلام بما أتى بعده ليأتلف على نظام واحد، فعندهم ردُّ اللفظ على مثله لمجاورته له أولى وأحسن(٣).

وقد نجد الإجماع يكون معززا بسياق الكلام وبقرب الكلمات من بعضها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾الأنعام: ١١٩، فقد ورد فيها أكثر من قراءة، وسأذكر منها قراءة عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: ﴿وقد فَصَّل﴾ بفتح الفاء والصاد، وحجتهم ظهور اسم الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الأنعام: ١١٩، فلما قرب من الفعل قرؤوا ﴿فَصَّل﴾ لقرب اسمه من الفعل إذ المعنى: وقد فَصَّل الله لكم، وحجتهم قوله تعالى: ﴿قد فَصَّلنا الآيات﴾، وقرؤوا: ﴿ما حُرِّم﴾ بضم الحاء وحذف الفاعل بدلالة ما جاء في القرآن من التحريم بترك تسمية الفاعل في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ المائدة: ٣ و ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾المائدة: ٩٦، فجرى الكلام فيها بترك تسمية الفاعل، فأجروا ما اختلفوا فيه من ذلك على لفظ ما اتفقوا عليه، يضاف إلى ذلك أن الكلام أتى بعده بترك

---

(١) أصله: (تتنزَّل) فحذف تاء لاجتماع تاءين بحركة واحدة، ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٤٠٤.

(٢) حجة القراءات: ٣٨١ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٦٤.

(٣) الحجة في القراءات السبع: ١٣٢، ١٣٣ وحجة القراءات: ٤١٩، ٤٢٠.

تسمية الفاعل وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ﴾، فألحق قوله ﴿حُرِّم﴾ ليكون لفظا المستثنى والمستثنى منه متفقين⁽¹⁾.

ولم يعتد ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بغير السياق فيه فقرؤوا: ﴿وقد فُصِّل﴾ بضم الفاء و ﴿ما حُرِّم﴾ بضم الحاء، على ما لم يسم فاعله، وحجتهم في هذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١، وذلك ليأتلف اللفظان على نظام واحد، إذ كان المفصَّل هو المحرَّم ولا ضرورة تدعو إلى المخالفة بين اللفظين⁽²⁾.

ويبدو أن السياق قد عول عليه القرّاء كثيرا في الاحتجاج بالقرآن الكريم لقراءاتهم ونجد ذلك في أكثر من موضع، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ التوبة: ١٠٩، فقد ذهب نافع وابن عامر إلى قراءته على البناء على ما لم يسم فاعله نحو: ﴿أفمن أُسِّس﴾ بضم الهمزة وكسر السين و ﴿بنيانُه﴾ بالرفع، و ﴿أمَّن أُسِّس﴾ و ﴿بنيانُه﴾ بالرفع أيضا، وحجتهما ما تقدمه من قوله تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ التوبة: ١٠٨، وذلك لأنه كان يحسن تسمية الفاعل لو كان للفاعل ذكر، فأما إذا لم يكن له ذكر وقد تقدم قوله: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ على ترك تسمية الفاعل، فترك التسمية أيضا في هذا . عندهما . أقرب وأولى، على أن يكون المسجد الذي أُسِّس على التقوى هو المسجد الذي بنيانه على تقوى من الله، وهو مسجد الرسول ﷺ⁽³⁾.

وذهب الباقون إلى قراءته على البناء للمعلوم نحو: ﴿أَسَّسَ﴾ بفتح الهمزة والسين ونصب ﴿بُنۡيَٰنَهُۥ﴾ على المفعولية في الموضعين، وقد احتجوا لذلك بأنَّ صدر هذه القصة مبني على تسمية الفاعل وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدًا ضِرَارًا وَكُفۡرًا﴾ التوبة: ١٠٧ فجعل الاتخاذ لهم، فكذلك التأسيس يجعل لهم ليكون الكلام واحدا، وقد عززوا ما ذهبوا إليه بما بعده وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ التوبة: ١١٠، والذين بَنَوْا ريبة هم الذين أَسسوا، فلذلك آثروا ذكر الفاعل⁽⁴⁾.

وقد نجد سياق الكلام معززا بقرب الكلمات بعضها من بعض، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾ الأنبياء: ٢٥، فقد قرأه حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾ بالنون وكسر الحاء، وحجتهم في ذلك أن قوله ﴿نُوحِيٓ﴾ جاء على مجرى قوله ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، ولفظها قريب من لفظ الجمع، فجرى الكلام على نظام واحد، إذ كان الوحي والإرسال جميعا لله تعالى، فأسندوا الفعلين إليه، ويقوي هذا عندهم قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ النساء: ١٦٣.

---

(1) حجة القراءات: ٢٦٨، ٢٦٩ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٢/٢٠٥.

(2) حجة القراءات: ٢٦٩.

(3) حجة القراءات: ٣٢٣، ٣٢٤ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٢/٣٣٦، ٣٣٧.

(4) حجة القراءات: ٣٢٤ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٢/٣٣٦.

وقد يكون السياق مبررا لقراءته بالبناء على المجهول والياء عند الباقين، فقد قرؤوا: ﴿يُوحَىٓ﴾ بضم الياء وفتح الحاء(١)، وتركوا الحمل على قوله: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، وذلك لأنهم يرون أن آخر الكلام جرى على غير لفظ أوله، إذ قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥، فلو كان الكلام يتبع بعضه بعضا لم يقل: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾، لأنه لم يقل في أول الآية: (وما أرسلت من رسول) فيكون آخر الكلام تابعا لأوله، فلما لم يكن الكلام منتظما مع ما قبله لم يجب أن يجعل قوله تعالى: ﴿نُوحِيٓ﴾ بالنون بلفظ ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ ، ولهذا عدلوا به إلى لفظ ما لم يسم فاعله، واحتجوا لذلك(٢) بقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ هود: ٣٦.

وقد نجد الكثرة تكون عاملا من عوامل اختيار البناء للمجهول في القراءة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ فاطر: ٣٦، فقد اختار أبو عمرو قراءته: ﴿يُجۡزَىٰ﴾ بياء مضمومة وفتح الزاي بلفظ البناء للمجهول و ﴿كُلُّ﴾ بالرفع لنيابته عن الفاعل، وحجته في هذه القراءة أن ما أتى في القرآن من المجازاة جاء أكثره على لفظ ما لم يسم فاعله(٣)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ غافر: ١٧، ويقوي الياء قوله تعالى قبله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾ فاطر: ٣٦، ولم يعول الباقون على الكثرة فقرؤوه: ﴿نَجۡزِي﴾ بنون مفتوحة وكسر الزاي بصيغة البناء للمعلوم و ﴿كُلَّ﴾ بالنصب على المفعولية(٤)، وهو إخبار من الله عَزَّ وَجَلَّ عن نفسه، أي: نحن نجزي كل كفور، ومما يقوي النون . عندهم . قوله تعالى بعده(٥): ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ فاطر: ٣٧.

وكذلك نجد القراء يختارون قراءة الأفعال على البناء للمجهول دفعا للتوهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ محمد: ٢٥، فقد قرأ أبو عمرو: ﴿أُمْلِيَ لهم﴾ بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، وذكر أبو عمرو أن الشيطان لا يملي لأحد، ولا يؤخر أحد مدة أحد، ولا يوسع له فيها إلا الله سبحانه، وحجته فيما ذهب إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا﴾ آل عمران: ١٧٨. والذي يبدو أن أبا عمرو كان يرى أن القارئ إذا قرأ: ﴿وأَملى﴾ بالفتح جاز أن يقع في الوهم أن الإملاء مسند إلى الشيطان، لأن ذكره قد تقدم الفعل ولم يجر لله تعالى قبل الفعل ذكر، فقرأ ﴿وأُملي﴾ ليزيل الوهم، فالإملاء على هذا يكون راجعا إلى الله لا إلى الشيطان كما قال تعالى: ﴿فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡ﴾ الحج: ٤٤، وأصل الإملاء الإطالة في العمر، يقال تملَّى فلان منزله إذا طالت إقامته فيه(٦)، قال أبو علي الفارسي: "انتظرته مليا من الدهر، أي: متسعا منه، فهو صفة استعمل استعمال الأسماء"(٧).

---

(١) التذكرة في القراءات لابن غلبون: ٣١٢.

(٢) حجة القراءات: ٤٦٦، ٤٦٧.

(٣) حجة القراءات: ٥٩٣.

(٤) حجة القراءات: ٥٩٣ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ١٨٩.

(٥) الحجة للقراء السبعة ٣/٣٠٠.

(٦) الحجة للقراء السبعة ٣/٤٠٤، ٤٠٥ وحجة القراءات: ٦٦٧، ٦٦٨.

(٧) الحجة للقراء السبعة ٣/٤٠٤.

وقد قرأه الباقون: ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ ، بفتح الهمزة، أي زين لهم الشيطان كما ذكر النخعي، وذهب آخرون إلى إثبات الإملاء لله تعالى، فالفعل مسند إلى الله تعالى وإن لم يجر له ذكر، واحتجوا لهذا بقوله تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ الفتح: ٩، فالهاء في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ عائدة على (الله) عَزَّ وَجَلَّ، وفي قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ عائدة على النبي ﷺ، وعلى هذا حملوا قوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾، فالتسويل راجع إلى الشيطان والإملاء إلى الله[1].

٤ . التشديد والتخفيف:

ونجد التشديد والتخفيف عاملين من عوامل اختلاف القراء، فقد قرأ قسم من القراء بالتشديد وقرأ القسم الآخر بالتخفيف، وقد احتج كل قسم لقراءته بالقرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾البقرة: ٩٠، فقد اختلف القرّاء في تشديد الزاي وتخفيفها في الفعل ﴿نَزَّلَ﴾ في هذه السورة وفي غيرها اختلافا كبيرا، وفيما يأتي بيان ذلك بشيء من الإيجاز:

ذهب ابن كثير وأبو عمرو إلى قراءته بالتخفيف: ﴿يُنزِل﴾ في جميع القرآن، وحجتهما لذلك قوله تعالى: ﴿أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ البقرة: ٩٠ ولم يقل: (نزّل الله)، وكان ابن كثير يخفف الفعل الذي في أوله ياء أو تاء أو نون في كل القرآن، إلا في ثلاثة مواضع: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ الحجر: ٢١ و ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾الإسراء: ٨٢ و ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾الإسراء: ٩٣، ولا يخفف: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ الحديد: ١٦ ويخفف: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡ﴾المائدة: ١١٥ و ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾البقرة: ٩٠ و ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ العنكبوت: ٣٤ و ﴿أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ آل عمران: ١٢٤ ويخفف: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ الشعراء: ١٩٣.

وقرأ أبو عمرو: ﴿ينزِل﴾ في البقرة وما أشبهه بالتخفيف في جميع القرآن إلا ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ﴾ الأنعام: ٣٧ وفي: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ الحجر: ٢١، والذي يبدو أن أبا عمرو اختار التشديد في هذا لأن نزوله كان شيئا بعد شيء، فكأنه لما تردد نزوله وطال شدده لتردده، ويخفف: ﴿منزَل﴾ و ﴿منزِلها﴾ و ﴿منزِلون﴾، ويشدد: ﴿نزّل﴾ في كل القرآن إلا في قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ الشعراء: ١٩٣، فإنه يشدده[2]، والظاهر أنه أراد أن يجمع بين اللغتين: التخفيف والتشديد[3].

وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد: ﴿ونُنزِّل ويُنزِّل﴾ و ﴿نَزَّل به الروحَ الأمينَ﴾ و ﴿وما نزَّل من الحق﴾ في القرآن كله، إلا موضعين: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ لقمان: ٣٤ و ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾

---

[1] حجة القراءات: ٦٦٨، ٦٦٩.

[2] الحجة للقراء السبعة ١/ ٣٤٣ . ٣٤٤ وحجة القراءات: ١٠٦.

[3] حجة القراءات: ١٠٦.

الشورى: ٢٨ فبالتخفيف(١) وحجتهما قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ المؤمنون: ١٨، ويخففان: ﴿منزَّل﴾ و ﴿منزِّلون﴾ و ﴿منزِّلين﴾ حيث وقع(٢).

وكذلك قرأ نافع: ﴿ينزِّل﴾ بالتشديد إذا كان فعلا في أوله ياء أو تاء أو نون، وأما الفعل الذي في أوله ميم فإنه لم يستمر فيه على وجه واحد، فكان يشدد في: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾المائدة: ١١٥، ويخفف ما سواه، فإذا كان ماضيا ليس في أوله ألف، وكان فعل ذكَر خفف الزاي مثل قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الحديد: ١٦، ويشدد سائر القرآن(٣).

وقرأ ابن عامر بتشديد ذلك كله في جميع القرآن(٤) مثل: ﴿منزَّل﴾ و ﴿ينزِّل﴾ و ﴿ينزِّلون﴾ و ﴿منزِّلين﴾، وفي الأنعام: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[الآية: ١١٤] وفي الشعراء: ﴿نزَّل به الروحَ الأمينَ﴾ وفي الحديد: ﴿ما نزَّل من الحق﴾.

وكان عاصم في رواية أبي بكر يشدد: ﴿ينزِّل﴾ و ﴿ننزِّل﴾ و ﴿منزِّلها﴾ في المائدة و ﴿نزَّل من الحق﴾ و ﴿نزَّل به الروح الأمين﴾ في كل القرآن(٥)، وقال أبو علي الفارسي: "قال حفص عن عاصم: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ الشعراء: ١٩٣ خفيفة، وكذلك: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الحديد: ١٦ أيضا خفيفة، وقال: أبو بكر بن عياش: مشددان"(٦).

والحجة لمن قرأ بالتشديد أن ﴿نزَّل﴾ بالتشديد و ﴿أنزل﴾ بالتخفيف لغتان مثل: نبَّأته وأنبأته وعظَّمته وأعظمته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ محمد: ٢٠ فقد جاءت باللغتين(٧)، وعلى هذا فإننا نجد الاختلاف بين القراءتين بالتخفيف والتشديد قائما على أساس من الاختلاف في اللغات وهذا كثير في القرآن الكريم(٨).

وقد نجده قائما على أساس الاختلاف بين معاني المفردات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ الزمر: ٧١ و ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ الزمر: ٧٣، فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف في الموضعين ووجه التخفيف عندهم أن التخفيف يصلح للقليل والكثير، وذلك لأن أبواب الجنة تفتح مرة واحدة، فكان التخفيف أولى، لأن الفعل لم يتردد، وذهب نافع وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو إلى القراءة بالتشديد، وذلك لأنهم أرادوا تكرير الفعل، لأن كل باب منها فتح، وحجتهم إجماعهم على التشديد في قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ يوسف: ٢٣ وقوله

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ٣٥ وحجة القراءات: ١٠٦.

(٢) الحجة للقراء السبعة ١/٣٤٤.

(٣) الحجة للقراء السبعة ١/٣٤٣.

(٤) الحجة للقراء السبعة ١/٣٤٤.

(٥) الحجة للقراء السبعة ١/٣٤٤.

(٦) الحجة للقراء السبعة١/٣٤٤.

(٧) الحجة في القراءات السبع: ٣٥ وحجة القراءات: ١٠٦.

(٨) حجة القراءات: ١١٤. ينظر مثلا: البقرة: ١٢٦، ١٨٥، والأعراف: ٦٢، والحجر: ٥٩، والحج: ١٩، ٣١، ويس: ٦٨، وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره.

تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ ص: ٥٠، ووجه التشديد ذكره اليزيدي، وهو أن كل ما فتح مرة بعد مرة فهو التفتيح، وهو مصدر (فتَّح)(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡ ﴾ الممتحنة: ٣، فقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿يُفْصَل﴾ بضم الياء وفتح الصاد، واختار عاصم التخفيف ﴿يَفْصِل﴾ بفتح الياء وكسر الصاد، مثل: يضرب، والمعنى: يفصل الله بينكم، كما قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ السجدة: ٢٥، وقرأ ابن عامر: ﴿يُفَصَّل﴾، بضم الياء وتشديد الصاد وفتحها، واختار حمزة والكسائي تشديد الصاد وكسرها ﴿يُفَصِّل﴾، وعللوا ذلك بأن تردد الفعل وكثرة ما يفصِّل الله بينهم يوم القيامة أوقعا التشديد الذي يدخل في الكلام لتردد الفعل وتكراره(٢).

وقد يختار التشديد أو التخفيف نظرا لأصلهما الصرفي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ مريم: ٦٧ فقد قرأ نافع وعاصم وابن عامر: ﴿يَذۡكُرُ ﴾ بضم الكاف والتخفيف، جعلوه من ذَكَر يَذْكُر ذِكْرا، والذكر هو الذي يعقب النسيان والغفلة، أي: أولا يعلم، أولا ينتبه، وحجتهم في هذا قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴾ عبس: ١١، في حين قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿يَذَّكَّرَ ﴾ بفتح الكاف والتشديد، جعلوه من (تذكَّر) الذي هو بمعنى (تدبَّر)، أي: أولا يتدبر ويتفكر ويعتبر وليس تذكرا عن نسيان، والأصل: يتذكَّر فأُدغمت التاء في الذال(٣)، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ الرعد: ١٩ و ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ الزمر: ٩، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾ الفرقان: ٦٢، فقد قرأه حمزة وحده: ﴿يذْكُر﴾ بالتخفيف، وهو على معنى : يتذكَّر، وقرأ الباقون: ﴿يَذَّكَّرَ ﴾ بالتشديد، وحجتهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ الزمر: ٩، قال الفراء: "يَذْكر ويتذكَّر يأتيان بمعنى واحد"(٤)، يقال: ذكرت حاجتك وتذكَّرتها(٥).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الأنعام: ١٢٥، فقد انفرد ابن كثير بقراءته: ﴿ضَيْقا﴾(٦) بتخفيف الياء، على حذف إحدى الياءين استخفافا واستثقالا لياء مشددة مكسورة، والمحذوفة هي الثانية، لأن بها وقع الاستثقال، وقرأ الباقون: ﴿ضيِّقا﴾ بتشديد الياء، وأصله: (ضييق) بياءين على وزن (فيعِل)، وأدغمت الأولى في الثانية، ولم يحذف من الكلمة شيء مثل: هَيْن وهَيِّن، وكذلك انفرد ابن كثير بقراءة: ﴿يَصْعَد﴾ بإسكان الصاد مخففا من صعِد يصعَد وحجته قوله تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ فاطر: ١٠، وقرأه أبو بكر: ﴿يصَّاعد﴾ بالتشديد وبألف، الأصل فيه يتصاعد، فأدغم التاء في الصاد، وقرأه الباقون:

---

(١) حجة القراءات: ٦٢٥، وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٢٠١.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٣٨/٤ وحجة القراءات: ٧٠٦ والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٦٣٤، ٦٣٥.

(٣) حجة القراءات: ٤٤٥ والكشف عن وجوه القراءات: ٤٤٩.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٧١/٢.

(٥) حجة القراءات: ٥١٣.

(٦) وكذلك قرأ: ﴿مَكَانٗا ضَيِّقٗا ﴾ الفرقان: ١٣ بتخفيف الياء. ينظر: الحجة للقراء السبعة ٢٠٩/٢.

﴿يصَّعَّد﴾، وأصله: يتصعَّد فأدغموا التاء في الصاد، ولا فرق بين هذه القراءات في المعنى، فمعنى يَصْعَد ويصَّاعد ويصَّعَّد واحد، وهو: أن يتكلف الإنسان ما لا يطيق شيئا بعد شيء(١).

وقد يكون اختيار التشديد أو التخفيف راجعا إلى انسجام الكلام مع ما تقدمه أو يكون راجعا إلى ما اتفق عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴾ الفرقان: ٧٥، فقد قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿ يَلْقَوْنَ ﴾ بالتخفيف، جعلوه ثلاثيا من: لقي يلقى، أي يلقون (أهل الجنة) فيها تحية وسلاما من الله ﷻ، فالفعل لهم، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ مريم: ٥٩ و ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ الفرقان: ٦٨، فجعلوا قوله ﴿ يَلْقَوْنَ ﴾ (بالتخفيف) بلفظ ما تقدمه ليكون الكلام على نظم واحد، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم: ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا ﴾ بالتشديد على ما لم يسمّ فاعله، وجعلوه رباعيا من: لقَّى يلقِّي، أي: يلقِّيهم الله وملائكته التحية والسلام إذا دخلوا الجنة، وحجتهم إجماعهم على التشديد(٢) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ الإنسان: ١١.

ويكون الحمل على ما أُجمع عليه حجة لمن يقرأ بقراءة معينة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ الأعراف: ١٩٣، فقد قرأ نافع وحده: ﴿لا يَتْبَعُوكُمْ﴾ بالتخفيف من تَبِع يَتْبَع، وقرأ الباقون: ﴿ يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ بالتشديد من اتَّبع يتَّبع، وحجتهم في ذلك إجماع الجميع على قوله تعالى: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ البقرة: ١٤٣ بالتشديد، فحملوه على ما أجمعوا عليه(٣)، وقال بعض أهل اللغة: تَبِعَه بالتخفيف: إذا مضى خلفه ولم يدركه، واتَّبَعه بالتشديد: إذا مضى خلفه فأدركه، وهما لغتان فصيحتان(٤).

وإذا كان الإجماع دليلا لاختيار القراءة عند قوم، فإن سياق الكلام يكون دليلا عند آخرين، ومن ذلك اختلاف القراء في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ الشعراء: ١٩٣، فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿ نَزَلَ ﴾ بالتخفيف و: ﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ بالرفع، أي: جاء به جبريل عليه السلام، لأن الروح هو جبريل عليه السلام، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ النحل: ١٠٢، وقوله: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ٩٧، بالتشديد لا غير لاتصال الهاء باللام وحذف الباء، فلما كان في هذين الموضعين جبريل هو الفاعل بإجماع القراء، ردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، والباء هنا للتعدية كما أن التشديد في ﴿نَزَّلَهُ﴾ للتعدية، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: ﴿نَزَّلَ بِهِ﴾ بتشديد الزاي و ﴿الرُّوحَ الأمينَ﴾ بالنصب على المفعولية، والمعنى: نزَّل اللهُ به الروحَ الأمينَ، وحجتهم أن ذلك أتى بعد الخبر عن تنزيل القرآن وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٢، والتنزيل مصدر نزَّل

---

(١) حجة القراءات: ٢٧١ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٨٠ . ٨١.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٢١٧/٣ و حجة القراءات: ٥١٥.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٢٨٤/٢ وحجة القراءات: ٣٠٥.

(٤) الحجة في القراءات السبع: ٩٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٣٤٢.

بالتشديد، فكأن قوله ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الأمينَ﴾ كان مردودا على ما تقدمه من ذكر الله، فحُمل عليه ما جاء بعده ليكون آخر الكلام منظوما على لفظ أوله إذ كان على سياقه[1].

وقد يشترك المعنى العام للآية مع السياق في اختيار القراءة عند كل فريق من القراء، ونجد ذلك واضحا في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾ الأنفال: ١١، فقد قرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿إذ يَغْشَاكُمُ﴾ بفتح الياء والتخفيف وبالألف و ﴿النُّعَاسُ﴾ بالرفع على الفاعلية، وقد أضاف الفعل إلى النعاس، والمعنى: أن النعاس فعل الفعل لأنه يقال: غشيه النعاسُ يغشاه، وحجة هؤلاء في هذا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡ ﴾آل عمران: ١٥٤، فالنعاس هنا هو الذي يغشى فهو الفاعل، والقصة واحدة فلذلك اختارا هذا الوجه من القراءة.

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ﴾بضم الياء وتشديد الشين المكسورة و ﴿ ٱلنُّعَاسَ ﴾ منصوب على المفعولية، أي: الله يغشّيكم النعاسَ، وحجتهم في هذا أن الفعل أتى بعد ذلك مسندا إلى الله تعالى وهو قوله: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ الأنفال: ١١، فكان الأولى . عندهم . بما قبله أن يكون خبرا عن الله تعالى أنه هو الفاعل له، وذلك لينتظم الكلام على سياق واحد، ومما يقوي التشديد عندهم قوله تعالى: ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ النجم: ٥٤. وعلى هذا المعنى اختار نافع قراءته بالتخفيف: ﴿إذ يُغْشِيكُمُ﴾ بضم الياء وسكون الغين و ﴿النُّعَاسَ﴾ منصوب، أي: يُغْشِيكُمُ اللهُ النُّعَاسَ، وحجتهم في ذلك[2] قوله تعالى: ﴿ فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ يس: ٩.

٥ . التفسير:

ويكون الاحتجاج بآيات كريمة تتصل بالمعنى الذي تحمله القراءة، فقد ورد اختلاف القرّاء في الأفعال، فقسم يقرأها بالياء والآخرون يقرؤونها بالتاء، ومن ذلك ما جاء في اختلاف القراء في قوله تعالى: ﴿ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِ ﴾آل عمران: ١٣، فقد قرأ نافع: ﴿ تَرَوۡنَهُمۡ ﴾، بالتاء على مخاطبة اليهود، وحجته فيما قرأ أن الكلام قبل ذلك جرى بمخاطبة اليهود وهو قوله تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَا ﴾آل عمران: ١٣، فألحق هذا بما تقدم، ومعنى الآية على هذه القراءة: قد كان يا معشر اليهود آية في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله وهم رسول الله ﷺ وأصحابه ﵃ ببدر، وأخرى كافرة وهم مشركون ترونهم أنتم أيها اليهود مثلي الفئة التي تقاتل في سبيل الله[3].

وقرأ الباقون بالياء: ﴿ يَرَوۡنَهُم ﴾، واحتجوا لما ذهبوا إليه في قراءتهم هذه بما روي عن أبي عمرو أنه قال: لو كانت ﴿ تَرَوۡنَهُمۡ ﴾ لكانت (مِثْلَيْكُمْ)، أي: يرى المشركون المسلمين مثْلَي عدد المشركين أو مثلي عدد المسلمين، فقد أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن

---

[1] حجة القراءات: ٥٢٠ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ١٦٦، ١٦٧.

[2] حجة القراءات: ٣٠٨ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٩٤ .

[3] حجة القراءات: ١٥٤.

قتالهم⁽¹⁾، وقد ذكر الفراء أن من قرأ بالتاء فإنه ذهب إلى اليهود لأنه خاطبهم، ومن قرأ بالياء فعلى ذلك، واستدل على ما ذهب إليه بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ يونس: ٢٢، وقد جوز أن يكون الفعل بالياء صادرا من المسلمين دون اليهود، أي: يرى المسلمون المشركين مثليهم⁽²⁾.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾المائدة: ١١٢، فقد قرأ الكسائي وحده: ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ بالتاء و ﴿رَبَّكَ﴾ بالنصب⁽³⁾، فأجراه على مخاطبة الحواريين لعيسى عليه السلام أي: هل تستطيع يا عيسى سؤالَ ربِّك؟ والمعنى: هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله؟ وذلك لأنهم كانوا مؤمنين يعرفون أن الله يستطيع، واستدل بقول عائشة رضي الله عنها: "كان القوم أعلم بالله عز وجل من أن يقولوا: هل يستطيعُ ربُّك، ولكن: هل تستطيعُ ربَّك"⁽⁴⁾، واحتج بقوله تعالى قبله: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي ﴾ المائدة: ١١١، والله تعالى سماهم حواريين، ولم يكن الله ليسميهم بذلك وهم برسالة رسوله كافرون، وقد خرَّج البصريون هذا المعنى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والتقدير عندهم: هل تستطيع سؤالَ ربِّك؟ فحذفوا (سؤالَ) فألقي إعرابه على ما بعده وهو قوله: ﴿ربَّك﴾ فصار منصوبا مثل قوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ يوسف: ٨٢، أي: أهلَ القريةِ⁽⁵⁾.

وقرأ الباقون: ﴿ يَسۡتَطِيعُ ﴾، بالياء و ﴿ رَبُّكَ ﴾، بالرفع، والمعنى عندهم: هل يستجيب لك ربك إن سألته ذلك؟ كما يقول القائل لآخر: أتستطيع أن تسعى معنا في كذا؟ وهو يعلم أنه قادر على ذلك ولكن يريد السعي معنا، وإنما أرادوا بذلك أن يأتيهم بآية يستدلون بها على صدقه، وحجتهم في ذلك قول عيسى عليه السلام لهم: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: ١١٢ استعظاما لما قالوه، فقالوا⁽⁶⁾: ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا ﴾ المائدة: ١١٣.

وقد يعول على السياق الذي يوضح المعنى المراد من القراءة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ آل عمران: ١٥٦، فقد قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياء، وحجتهم أن الكلام أتى بعد الإخبار عن الذين قالوا: ﴿ لَوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ آل عمران: ١٥٦، فأخبر الله المؤمنين أنه جعل ذلك القول حسرة منهم في قلوبهم إذ قالوه، ثم أتبع ذلك أنه بما يعملون من الأعمال بصير، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾آل عمران: ١٥٦، وقرأ الباقون: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء، وحجتهم أن الكلام في أول الآية وبعدها جرى بلفظ مخاطبة المؤمنين

---

[1] الكشاف للزمخشري ١/٣٠٠ والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢٢٤، ٢٢٥.

[2] معاني القرآن له ١/١٩٤، ١٩٥ وينظر: حجة القراءات: ١٥٤، ١٥٥والكشاف١/٣٠٠، ٣٠١.

[3] وقيل: إن عليا وعائشة رضي الله عنهما قرآ بها، وذكر معاذ أن رسول الله ﷺ أقرأه: ﴿هل تستطيعُ ربَّك﴾، ينظر: معاني القرآن للفراء ١/٣٢٥.

[4] الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢٩٢.

[5] حجة القراءات: ٢٤٠ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٧١، والكشاف ٢/٧٥.

[6] حجة القراءات: ٢٤٠ والكشاف ٢/٧٤ . ٧٥.

فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ آل عمران: ١٥٦ إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾، ثم قال بعده(١): ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٥٧.

وقد يكون الاختلاف في الأسماء ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠١، فقد قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة: ﴿طائف﴾ بالألف من: طاف به: إذا دار حوله، فهو طائف كما قال الكسائي، أو هو من (طاف به) من وسوسة الشيطان كما قال غيره، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿طَيْفٌ﴾ من غير ألف، أي: لَمَّة وخطرة من الشيطان، وكان مجاهد يقول: طيف من الشيطان: غضب، واحتجوا لهذا المعنى بقوله قبله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾الأعراف: ٢٠٠، ولم يقل نازغ، وقوله: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣، ولم يقل (الضارّ)، ويقال: أصابته نظرة ولا يقال ناظرة، وقوله ﴿طَيْف﴾ يحتمل أن يكون مصدرا: طاف يطيف طَيْفاً، يقال: طاف الخيال يطيف طَيْفاً: إذا ألمَّ في المنام، ويقال أيضا: طاف الخيال يطوف طيفا، فيكون (طَيْف) مخففا من (طَيِّف) على وزن (فَيْعِل) من طاف يطيف كليّن، أو من طاف يطوف كهيّن، ويحتمل أن يكون اسما مثل (الطائف) كما يقال: مائت وميت، والذي يدل عليه عندهم قراءة ابن مسعود ﵁: (طيِّف) بالتشديد مثل: هَيِّن وهَيْن، بالتشديد والتخفيف(٢).

وقد تُحمل القراءة على قراءة أجمع عليها القراء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ المائدة: ١١٠، فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿ساحِر﴾ بالألف، وكذلك في يونس وهود والصف، وقرأ معهما عاصم وابن كثير في يونس، وحجتهم في ذلك إجماع القرّاء على قراءة قوله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴾ غافر: ٢٤ بالألف، وقرأ الباقون: ﴿سِحْر﴾، بغير ألف وحجتهم قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴾ المدثر: ٢٤ وقوله: ﴿ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾ القمر: ٢، واحتجوا كذلك لهذه القراءة بما ذكر اليزيدي عن أبي عمرو قوله: إذا كان بعده ﴿مبين﴾ فهو ﴿سحر﴾، وإذا كان بعده ﴿عليم﴾ فهو ﴿ساحر﴾، فالمعنى على هذا أنه إذا وصفه بالبيان دل على أنه عنى السحر الذي يبين عن نفسه أنه سحر لمن تأمله، وإذا وصف بـ ﴿عليم﴾ دلَّ على أنه ساحر لأنه لم يجز أن يسند العلم إلى السحر، فجعله لفاعل السحر وهو الساحر، والسحر عنده أوعب معنى لأنه دالّ على فاعله، فالساحر قد يوجد ولا يوجد معه السحر، وأما السحر فلا يوجد إلا مع ساحر(٣).

ونجد الاختلاف بين القراءات يكون راجعا إلى اختلاف اللغات أحيانا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾التوبة: ٩٨، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿السُّوء﴾ بضم السين المشددة، فيها وفي: ﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾الفتح: ٦، وحجتهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ النحل: ٢٧، وقرأ الباقون: ﴿السَّوْء﴾ بفتح السين المشددة فيهما، ولم يُختلف في غيرهما، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ ﴾ الفتح: ١٢، والمعنى على القراءتين: أن السُّوء

---

(١) حجة القراءات: ١٧٧ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٢/٤٥ .

(٢) حجة القراءات: ٣٠٥، ٣٠٦ والكشاف ٢/٢٣٠.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٢/١٤٢، ١٤٣ وحجة القراءات: ٢٩٣.

بالضم: الاسم مثل البؤس والشؤم، والسَّوء بالفتح: المصدر، قال الفراء: "فمن قال: (دائرة السَّوْء) فإنه أراد المصدر من سُؤته سَوءا ومساءة ومسائية وسوائية، فهذه مصادر، ومن رفع(١) السين جعله اسما؛ كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب"(٢)، وقال آخرون: السُّوء بالضم: الشر والعذاب والهزيمة، والسَّوء بالفتح: الفساد والهلاك، قال الخليل: "والسُّوء اسم جامع للآفات والداء، وسُؤْت وجه فلان وأنا أسُوءُه مَساءَةً ومَسَايَةً لغة، تقول: أردت مَساءَتك ومَسَايتك"(٣)، وقال آخرون: هما لغتان مثل: الضُّر والضَّر(٤).

وقد يكون الاختلاف بين القراءات بالاختلاف بين ضبط الكلمات، مما يؤدي إلى اختلاف المعنى في كل قراءة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿المُخلِصِينَ﴾ بكسر اللام في جميع القرآن، أي: أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء، وحجتهم قوله تعالى: ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ النساء: ١٤٦ وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ الزمر: ١٤، فإذا أخلصوا فهم مخلِصون كما تقول: رجل مخلِص مؤمن، فالفعل في اللفظ له، وتابعهم نافع في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ مريم: ٥١ فكسر اللام، وقرأ سائر القرآن: ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ بفتح اللام، فأما ما كان فيه: ﴿ٱلدِّينَ﴾ الأعراف: ٢٩ و الزمر: ١١ أو ﴿دِينِي﴾ الزمر: ١٤ فلم يُختلف فيه أنه بكسر اللام(٥).

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ و ﴿مُخۡلَصٗا﴾ في سائر القرآن بفتح اللام، أي: الله أخلصهم من الأسواء والفواحش، فصاروا مخلَصين، وحجتهم قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ ص: ٤٦، صاروا مخلَصين بإخلاص الله إياهم(٦).

ومما يندرج تحت هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ الروم: ٢٢، فقد قرأ حفص عن عاصم: ﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ بكسر اللام، أي: للعلماء وهو جمع عالِم، لأن العالِم بالشيء يكون أحسن اعتصاما من الجاهل كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣، واحتج بما تقدم وما تأخر، فأما ما تقدم فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم: ٢١، وأما ما تأخر فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ الروم: ٢٤، وإن كانت الآية للناس كافة عالمهم وجاهلهم، لأن العالِم لما تدبر واستدل بما شاهد على ما لم يستدل عليه غيره صار ليس كغير العالِم، لذهابه عنها وتركه الاعتبار بها، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم: ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ بفتح اللام، جمع عالَم، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢، أي: للناس أجمعين من الجن والإنس(٧).

---

(١) أي: ضمها.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/٤٥٠ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٢/٣٣١.

(٣) العين له (سوء) ٧/٣٢٧.

(٤) حجة القراءات: ٣٢١، ٣٢٢.

(٥) الحجة للقراء السبعة ٢/٤٤٤، ٤٤٥.

(٦) حجة القراءات: ٣٥٨، ٣٥٩ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٢/٤٤٤، ٤٤٥.

(٧) حجة القراءات: ٥٥٧ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٣/٢٦٧.

وقد يكون اختيار القراءة راجعا للمعنى الذي تؤديه اللفظة في كل قراءة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾الزخرف: ١٩، فقد قرأ نافع وابن عامر وابن كثير: ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ بالنون على معنى الظرف، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ الأعراف: ٢٠٦، وقرأ الباقون: ﴿ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ بالباء والألف جمع (عبد)، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٦، وقد جاء في القرآن بالأمرين، والمعنى عند من قرأ: ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ : هو الدلالة على رفع المنزلة والتقريب كما قال الله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ النساء: ١٧٢، وليس من قرب المسافة، والمعنى في قوله ﴿ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ هو الدلالة على تكذيب الذين جعلوا الملائكة إناثا⁽¹⁾، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴾ الصافات: ١٥٠.

٦ . كسر همزة (إنَّ) وفتحها:

ونجد القراء يختلفون في كسر همزة (إن) وفتحها، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٩، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿إنَّها﴾ بكسر همزة (إن)، وقد علل ذلك اليزيدي بأن الخبر ينتهي عند قوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ ، أي: وما يدريكم؟ ثم ابتدأ الخبر عنهم: إنهم إذا جاءت لا يؤمنون، وكسروا الهمزة على الاستئناف، قال سيبويه: "سألت الخليل عن قوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ ﴾ما منعها أن تكون كقولك: وما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذا في ذا الموضع، إنما قال: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾، ثم ابتدأ فأوجب فقال: ﴿ إِنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ولو قال: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾كان ذلك عنه عذرا لهم"⁽²⁾. واحتجوا بقوله تعالى بعدها: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ﴾ الأنعام: ١١١ إلى قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ الأنعام: ١١١، فأوجب لهم الكفر، وقال: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الأنعام: ١١٠، أي: إن الآية إن جاءتهم لم يؤمنوا أول مرة. وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي: ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٩ بالفتح، وقد وضح الخليل معنى هذه الآية على قراءة هؤلاء بأن معنى (أنَّ): لعل، أي: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، قال: "هي بمنزلة قول العرب: ائت السوقَ أنك تشتري لنا شيئا، أي: لعلك، فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون"⁽³⁾، ومما يعزز هذا التوجيه ما أنشده أبو عبيدة:

أريني جوادا مات هَزْلا لأنني ۝ أرى ما ترينَ أو بخيلا مخلَّدا⁽⁴⁾

يريد: دلّيني أو لعلني أرى ما ترين، ولم يرد رؤية العين⁽⁵⁾، وقول عدي بن زيد:

أعاذلَ ما يدريكِ أنَّ مَنِيَّتي ۝ إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغدِ⁽⁶⁾

⁽¹⁾ الحجة للقراء السبعة ٣/٣٧٠ وحجة القراءات: ٦٤٧ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٢٠٨.

⁽²⁾ الكتاب لسيبويه ٣/١٢٣.

⁽³⁾ الكتاب ٣/١٢٣ وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٧٩ والحجة للقراء السبعة ٢/١٩٨.

⁽⁴⁾ نسب البيت إلى حُطائط بن يعفُر، ينظر: الحجة للقراء السبعة ١/٣٨٢ ، ونسب إلى غيره، ينظر: لسان العرب (خلد) ١١/٤٧٤ و (إنن) ١٣/٣٤.

⁽⁵⁾ الحجة للقراء السبعة١/٣٨٢ وحجة القراءات: ٢٦٥، ٢٦٦.

⁽⁶⁾ ينظر: لسان العرب (إنن) ١٣/٣٤.

أي: لعل منيتي، واستدلوا على ذلك بورود (لعل) بعد العِلم في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ الشورى: ١٧، وكذلك يكون: ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ ﴾ الأنعام: ١٠٩ بمنزلة: لعلها إذا جاءت، وقيل هي زائدة أو غير زائدة ولكنها متصلة بـ ﴿ أَهْلَكْنَٰهَآ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ الأنبياء: ٩٥، كأنه قال: وحرام على قرية أهلكناها بأنهم لا يرجعون(١).

وقد ذكر المفسرون أن الكفار اقترحوا الآيات وقالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ الإسراء: ٩٠ إلى قوله: ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾ الإسراء: ٩٣، فأنزل الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٩، أي: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون على رجاء المؤمنين، وذهب آخرون إلى أن المعنى: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، وعلى هذا تكون (لا) مؤكدة للنفي كما قال تعالى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ الأنبياء: ٩٥، أي: وحرام عليهم أن يرجعوا، قال الفراء: "الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالآية التي نزلت في الشعراء: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الآية: ٤]،... فقال المؤمنون: يا رسول الله سل ربَّك أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: قل للذين آمنوا: وما يشعركم أنهم يؤمنون. فهذا وجه النصب في (أنَّ)، وما يشعركم أنهم يؤمنون... و(لا) في هذا الموضع صلة كقوله: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ المعنى: حرام عليهم أن يرجعوا، ومثله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾(٢)، أي: أن تسجد" (٣).

٧ . التذكير والتأنيث:

يكون التذكير والتأنيث مظهرين من مظاهر اختلاف القراء، فقد يقرأ فريق بالتذكير ويقرأ فريق آخر بالتأنيث وكل فريق يحتج لقراءته بالقرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ الأنعام: ١٣٥، فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿مَنْ يَكُونُ لَهُ﴾ بالياء، وعللا ذلك بأن تأنيث ﴿عَاقِبَة﴾ غير حقيقي، واحتجا بقوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾ النمل: ٥١ وقوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ﴾ الروم: ١٠، وقرأ الباقون: ﴿ مَن تَكُونُ ﴾ الأنعام: ١٣٥ بالتاء لتأنيث العاقبة(٤).

ومثله قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ طه: ١٣٣، فقد قرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ ﴾ بالتاء، وذلك لتأنيث البينة، وحجتهم إجماع القراء على التاء في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ البينة: ١، في حين قرأ الباقون وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿أَوَلَمْ يَأْتِهِم بَيِّنَةُ﴾ بالياء، وذلك لأن تأنيث البينة غير حقيقي، وهي في معنى البيان، وحجتهم قوله

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٢/٢٠٠، ٢٠١ وينظر: المسائل العكبريات لأبي البقاء العكبري: ١٠٩.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٣٤٩، ٣٥٠، ٣٧٤ وينظر: حجة القراءات: ٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) حجة القراءات: ٢٧٢.

تعالى: ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ الأنعام: ١٥٧ وقوله: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦ﴾ الأنعام: ٥٧، أي: كذبتم بالبينة، فقال: ﴿بِهِ﴾ ولم يقل (بِهَا)(١).

وقد يكون المعنى مبرِّرا لاختيار التذكير أو التأنيث، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾ الرعد: ٤، فقد اختار عاصم وابن عامر قراءة الفعل: ﴿يُسۡقَىٰ﴾ بالياء على التذكير، أي: يسقى المذكور بماء واحد، وحجتهما في هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ يس: ٣٤ - ٣٥ على معنى: من ثمر المذكور. وقرأ الباقون: ﴿تُسْقَى﴾ بالتاء على تأنيث الفعل، أي: تسقى هذه الأشياء بماء واحد، وعللوا ذلك بأن التذكير لا يكون فيها، وذلك لأنه لو حُمِل على الزرع فقد تُرِك غيره، ولو حُمِل على الجنات مع حمله على الزرع لأدى ذلك إلى تذكير المؤنث، وقد احتجوا لما ذهبوا إليه بقوله تعالى بعده: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِ﴾ الرعد: ٤، فقال: ﴿بَعۡضَهَا﴾، فكما حمل هذا على التأنيث كذلك يحمل ﴿تُسْقَى﴾(٢).

وقد يؤول النحاة محذوفا في حال اختيار القراءة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ النحل: ٢٨، فقد قرأ حمزة وحده: ﴿الذينَ يَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائكَةُ﴾ بالياء على التذكير، وقرأ الباقون: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء على التأنيث، وحجتهم قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ آل عمران: ٤٢ و ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ آل عمران: ٤٥، وقد ذكر النحاة أن فعل الجميع إذا تقدم على الفاعل يذكَّر ويؤنَّث، فإن ذُكِّر فالتقدير: جمع الملائكة وإن أُنِّث فإنه على تقدير: جماعة الملائكة. وهذا القول ينطبق على قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ النحل: ٣٣، فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾ بالياء، وقرأ الباقون: ﴿تَأۡتِيَهُمُ﴾ بالتاء(٣).

وقد يكون ائتلاف الأفعال على لفظ واحد سببا لاختيار القراءة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الكهف: ٤٣، فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِئَةٌ﴾ بالياء، وحجتهما في ذلك قوله تعالى: ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ ولم يقل: (تَنْصُرُهُ) كما قال في موضع آخر: ﴿فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ آل عمران: ١٣، فكان تذكير ما تقدم من فعلهم من أجل تذكير ما تأخر من فعلهم أولى ليأتلف الفعلان على لفظ واحد، وهناك قول آخر في توجيه هذه القراءة وهو ما ذكره النحاة من أنه قد حيل بين الفعل والاسم بحائل وهو قوله ﴿له﴾ فصار الحائل كالعوض من التأنيث، وقرأ الباقون: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾ بالتاء لتأنيث الفئة(٤).

٨ . مد الهمزة وتليينها:

ونجد الاختلاف واضحا في مدِّ الهمزة وتليينها، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ البقرة: ٦، فقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿آأَنْذَرْتَهَم﴾

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٣/١٥٦ وحجة القراءات: ٤٦٥.

(٢) حجة القراءات: ٣٦٩.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣/٣٦ وحجة القراءات: ٣٨٨.

(٤) الحجة في القراءات السبع: ١٣٢ وحجة القراءات: ٤١٨.

وقرأ: ﴿آنْتَ﴾ من قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ المائدة: ١١٦، بهمزة مطولة، وكذلك كانت قراءة الكسائي إذا خفف، إلا أن مد أبي عمرو في: ﴿أأنْذَرْتَهُم﴾ أطول من مد ابن كثير، لأن من قوله أنه يدخل بين الهمزتين ألفا وابن كثير لا يفعل ذلك، وهذا على أن تدخل ألف بعد همزة الاستفهام وبين الهمزة التي بعدها ليبعد المثل عن المثل ويزول اجتماعهما فيؤدي ذلك إلى خفة اللفظ، والأصل فيها (أَأَنْذَرْتَهُم) ثم لينت الهمزة في (أَنْذَرْتَهُم)، واحتجا في ذلك بأن العرب تستثقل الهمزة الواحدة فتخففها في أخف أحوالها وهي ساكنة مثل: (كَاس) في (كَأْس)، فإذا خففت وهي وحدها فإن تخفيفها ومعها مثلها أولى(١).

واختلف عن نافع في إدخال الألف بين الهمزتين، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي . إذا حقق . وابن عامر: ﴿أَأَنْذَرْتَهُم﴾ و ﴿أَأَنْتَ﴾ بهمزتين، وحجتهم في ذلك أن الهمزة حرف من حروف المعجم كغيره من سائر الحروف، صحًّا بالجمع بينهما نحو ما يجتمع في الكلمة حرفان مثلان، فيؤتى بكل واحد منهما صحيحا على جهته من غير تغيير كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة: ٢١٩ و قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ النمل: ٣٦ وغيرهما، فلا يستثقل اجتماعهما(٢).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي﴾ يوسف: ٩٠، قرأ ابن كثير وورش: ﴿قَالُوا إِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ﴾ بكسر الهمزة على الخبر كقولنا: إنك في الدار، وقرأ نافع وأبو عمرو: ﴿قالوا آنَّكَ﴾ بالاستفهام بهمزة مطولة، وحجتهما قوله: ﴿أنا يُوسُفُ﴾، فقد أجابهم عما استفهموا عنه، والأصل فيها: أإنَّكَ، بهمزتين ثم أدخلا بينهما ألفا ليبعد المثل عن المثل ثم لينا الثانية فصارت: آنَّك بهمزة مطولة، وقرأ القاضي عن قالون: ﴿أَنَّكَ﴾ بهمزة واحدة من غير مدّ، وإنما لين الثانية ولم يدخل بينهما ألفا كما فعل غيره، وقرأ أهل الشام والكوفة ﴿أإنَّكَ﴾ بهمزتين على الأصل(٣).

وقد يكون الهمز والتليين راجعين إلى المعنى الذي تؤديه اللفظة بالتليين أو الهمز، ونجد ذلك جليا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ البقرة: ٦٢، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ المائدة: ٦٩، فقد قرأ نافع: ﴿والصَّابِينَ﴾ و ﴿والصَّابُونَ﴾ بحذف الهمزة وضم الباء في القرآن كله، وهو من صبا يصبو، أي: مال إلى دينه، وحجته في هذا قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ يوسف: ٣٣ أي: أمل إليهن، ومنه سمي الصبي صبيا لأن قلبه يصبو إلى كل لعب لفراغ قلبه. وأما الباقون فإنهم قرؤوا قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ و ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بتحقيق الهمزة على الأصل، ومعناه عندهم: الخارجين من دين إلى دين، يقال: صَبَأَ

---

(١) الحجة للقراء السبعة ١/١٦١ وحجة القراءات: ٨٦.

(٢) الحجة في القراءات السبع: ٢٢ وحجة القراءات: ٨٦.

(٣) حجة القراءات: ٣٦٣.

الرجلُ في دينه يَصْبَأُ صُبُوءا إذا خرج منه إلى غيره، ويقال: صبأت النجوم إذا ظهرت، وصَبَأَ نابُ الصبي يَصْبَأ صَبْأً إذا خرج(١).

ومثل هذا نجده في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ الأعراف: ١٤٣، فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿جَعَلَهُ دكَّاءَ﴾ بالمد والهمز، وقرآ ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾الكهف: ٩٨ مثله، وقد وضح الأخفش معناه على هذه القراءة: بأن الله تعالى جعله مثل دكّاء، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كما قال تعالى: ﴿وسَل القَرْيَةَ﴾، والعرب تقول ناقة دكَّاء، أي: لا سنام لها(٢)، وهذا يثنى ويجمع ولم ينون، لأنه وزن لا ينصرف في معرفة ولا نكرة لاجتماع التأنيث والوصف فيه(٣)، وقريب من هذا ما ذهب إليه قطرب، فقد جعل (دكَّاء) صفة، والتقدير: جعله أرضا دكَّاء، أي: ملساء، فحذف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه ودلَّت عليه كقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة: ٨٣، أي: قولا حسنا، وقرأه عاصم: ﴿ دَكًّا ﴾ بالقصر والتنوين، و ﴿ دَكَّآءَ ﴾الكهف: ٩٨ بالمد من غير تنوين، وقرأه الباقون: ﴿ دَكًّا ﴾منونا من غير همز، جعلوا ﴿ دَكًّا ﴾ مصدرا من دككت الشيء، إذا كسَّرته وفتَّته، وتأويله على هذه القراءة: أنه جعله مفتتا كالتراب، واحتجوا لهذه القراءة بقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ الفجر: ٢١، فيصبح المعنى على هذا: أنه لما تجلى ربُّه للجبل جعله مدكوكا فكأنه دكّه(٤).

ثانيا: الاحتجاج بالقراءات القرآنية

كانت القراءات القرآنية تحتل جانبا كبيرا من اهتمام العلماء، ولذلك عولوا عليها كثيرا في دعم القراءات التي يحتجون لها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ البقرة: ٢٣٣، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبان عن عاصم: ﴿لا تُضَارُّ وَالِدَةٌ﴾ بالرفع على الخبر، وحجتهم قوله تعالى قبله: ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾البقرة: ٢٣٣، فعطفوا المرفوع على المرفوع لتشابه اللفظ، وهو عندهم خبر بمعنى النهي، واستدلوا بمجيء الأمر على لفظ الخبر بما ورد في التنزيل كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾البقرة: ٢٢٨ وقوله تعالى: ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٧٩، وأما الباقون فقد قرؤوه: ﴿ لَا تُضَآرَّ ﴾ بفتح الراء على النهي، وحجتهم في هذا قراءة ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: ﴿لا تُضَارَرْ﴾ براءين، فدل ذلك على أنه نهي محض وهو مجزوم، فلما اجتمع الراءان أدغمت الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين لسكونها وسكون أول المشدد، وخصت بالفتح لتكون حركتها موافقة لما قبلها وهو الألف، وهو المختار في التضعيف إذا كان قبله فتح أو ألف(٥).

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ٣٢ وحجة القراءات: ١٠٠ وينظر: العين (صبأ) ٤/١٧١ والمنخل لأبي القاسم المغربي: ٢٥٢.

(٢) معاني القرآن للأخفش: ٤٤٦ وينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٣٣٣.

(٣) الحجة في القراءات السبع: ٨٩.

(٤) الحجة للقراء السبعة ٢/٢٦٣، ٢٦٤ وحجة القراءات: ٢٩٤.

(٥) الحجة في القراءات السبع: ٤٣ وحجة القراءات: ١٣٦.

قال أبو علي الفارسي: "ومن فتح جعله أمرا، وفتح الراء لتكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف، وعلى هذا قال سيبويه: لو سميت رجلا بإسحارَّ فرخمته على قول من قال: يا حارِ، لقلت: يا إسحارَّ، ففتحت من أجل الألف التي قبلها"[١].

وقد يكون الاختلاف راجعا إلى معنى الفعل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١، فقد قرأه حمزة: ﴿وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بضم الياء وبالألف من القتال، أي: يحاربون، وحجته فيما ذهب إليه قراءة عبدالله بن مسعود ﵁: (وقَاتِلُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ)، وقرأه الباقون: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بلا ألف من القتل، مستدلين بما أُجْمِع عليه في قراءة قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بلا ألف[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾الحديد: ٢٣، فقد قرأ أبو عمرو وحده: ﴿أتاكم﴾ بالقصر أي جاءكم، وحجته في ذلك أن الفعل ﴿أتاكم﴾ مُعادَل به الفعل ﴿فاتكم﴾، فهما فعلان ثلاثيان ماضيان للغائب، قال أبو عمرو: "وتصديقها في آل عمران: ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾[الآية: ١٥٣] قال: فـ (فأَصَابَكُمْ وجَاءَكُمْ) سواء"[٣]، وقد قرأه الباقون بالمد: ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: أعطاكم، وحجتهم في ذلك قراءة أبيّ وابن مسعود: ﴿بِمَا أُوتِيتُمْ﴾ أي: أُعطيتم[٤].

وقد نجد الاختلاف واقعا في إسناد الأفعال إلى الضمائر، فقد أسندها قسم من القرّاء إلى الغيبة في حين أسندها الآخرون إلى الخطاب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل: ١، فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿تُشْرِكُونَ﴾ بالتاء على معنى الخطاب، وحجتهما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، ردَّ الخطاب الثاني على الأول، وقرأ الباقون: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياء على الابتداء، لا يردون على أول الكلام، ولهم حجتان إحداهما: أن سعيد بن جبير قرأ: ﴿أتَى أمْرُ اللهِ فَلا يَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بالياء، والثانية: أن الله تعالى أنزل القرآن على محمد ﷺ فقال محمد ﷺ تنزيها لله[٥]: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦].

ومما أدى إلى الاختلاف بين القراء في القراءات، اختلافهم في زمن الفعل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ السجدة: ١٧، فقد قرأ حمزة وحده: ﴿مَا أُخْفِي لَهُمْ﴾ ساكنة الياء لاستثقال الضمة عليه، جعل الفعل مستقبلا، والمعنى: أن الله تعالى يخبر عن نفسه بأنه أخفى عن أهل الجنة ما تقر به أعينهم ، وحجته في هذا ما يتصل به وهو قوله تعالى قبله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ السجدة: ١٦، ومما يقوي هذه القراءة قراءة عبدالله بن مسعود (مَا نُخْفِي

---

[١] الحجة للقراء السبعة ٤٤٥/١ وينظر: الكتاب ٢٦٥/٢، ٢٦٤.

[٢] الحجة في القراءات السبع: ٥٠ و حجة القراءات: ١٥٨.

[٣] حجة القراءات: ٧٠١.

[٤] حجة القراءات: ٧٠١ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٣١/٤ . ٣٢.

[٥] حجة القراءات: ٣٨٤.

[٦] ومنه القراءات الواردة في: الإسراء: ٣٣، والأعلى: ١٦. ينظر: حجة القراءات: ٤٠٢، ٧٥٩.

لَهُمْ) بالنون، وقرأ الباقون: ﴿مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾ بفتح الياء، جعلوه فعلا ماضيا على ما لم يسم فاعله، وحجتهم قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ السجدة: ١٩، فأبهم ذلك كما أبهم(١) قوله: ﴿أُخْفِي لَهُمْ﴾.

ثالثا: الاحتجاج برسم المصحف

عُدَّ رسمُ المصحفّ ركنا من أركان القراءة المتواترة، وصارت موافقة القراءة لهجاء الكلمات في المصاحف العثمانية مقياسا لقبولها وصحة روايتها ونقلها، فما وافق الخط قرئ به وصح نقله، وما كان غير ذلك عُدَّ من الشاذ الذي لا تجوز القراءة به(٢)، وقد وضح ابن الجزري ذلك بقوله: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها"(٣)، فجعل هذه الأركان المقياس الأول الذي يجب أن يقوم عليه قبول القراءة أو تشذيذها، وقد اختلف العلماء في التواتر، فذهب الجمهور إلى أن التواتر شرط في صحة القراءة وقبولها، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر، ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية، وذهب آخرون إلى عدم اشتراط التواتر، وأنَّه يكفي صحة السند مع موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية، وأحد وجوه العربية، فالتواتر عندهم حاصل من غير السند، وهو الرسم، فالقراءات التي لا تخالف الألفاظ المكتوبة في أحد المصاحف العثمانية متواترة، وإن اختُلف في كيفية النطق بها ووجوه أدائها(٤).

وبناءً على هذا فإننا نجد عددا من القراء يختار قراءة معينة وحجته في ذلك رسم المصحف، في حين نجد آخرين يختارون قراءات أخرى محتجين بحجج عدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ يوسف: ٧، فقد قرأ ابن كثير: ﴿ءَايَةٌ﴾ بالإفراد، أي: عبرة، وحجته قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ يوسف: ١١١ ولم يقل: (عِبَرٌ)، كأنه تعالى جعله كله آية كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ المؤمنون: ٥٠، وقرأ الباقون: ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ على الجمع، أي: عِبَر، فقد جعلوا كل حال من أحوال يوسف عليه السلام آية وعبرة، وحجتهم في ذلك أنها كتبت في المصحف بالتاء(٥).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ طه: ١٢ - ١٣، فقد قرأه حمزة: ﴿وأَنَّا اخترناك﴾ بالجمع على معنى: نودي أَنَّا اخترناك، بلغة التعظيم، وحجته قوله قبله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ طه: ٢، والأصل: (أَنَّنا) كما قال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٧٧/٣ وحجة القراءات: ٥٦٩.

(٢) رسم المصحف تأليف غانم قدوري الحمد: ٦٤٥ . ٦٤٦.

(٣) النشر في القراءات العشر له ٩/١.

(٤) الإعراب والاحتجاج للقراءات: ١٦١، ١٦٢.

(٥) حجة القراءات: ٣٥٥.

وَأَرَىٰ ﴾ طـه: ٤٦، فحذفت النون الثانية المتحركة من (إنَّ) لكثرة النونات، واختار القراء الباقون قراءة: ﴿ أنَا ﴾ من غير تشديد، فـ (أنَا) اسم الله تعالى مرفوع بالابتداء، و ﴿اخْتَرْتُكَ﴾ على لفظ التوحيد خبره، والمعنى في القراءتين واحد، ولكن هذه القراءة كما ذكر أبو زرعة أشد موافقة لخط المصحف وأشبه بنسق اللفظ⁽¹⁾ لقوله تعالى قبله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾.

وما دمنا بصدد الاختلاف بين القراءات في المفرد والجمع فإننا نجدهم يختلفون في الجمع ذاته، ومن ذلك اختلافهم في قراءة قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ نوح: ٢٥، فقد انفرد أبو عمرو بقراءته: ﴿مِمَّا خَطَايَاهُمْ﴾ على صيغة الجمع المكسر، وحجته راجعة إلى المعنى، فالخطايا أكثر من الخطيئات، وذلك لأن جمع المؤنث السالم في الأغلب من كلام العرب أن يكون للقليل مثل: نخلة ونخلات وبقرة وبقرات، وذكر الأصمعي أن أبا عمرو كان يقرأ: ﴿خطاياهم﴾ ويقول: إن قوما كفروا ألف سنة لم يكن لهم إلا خطيّات بل خطايا، ومما يؤيد ما ذهب إليه إجماع القراء على قراءته في سورة البقرة: ﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾البقرة: ٥٨، وأجمع الباقون على قراءته: ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ ﴾ على جمع التصحيح، واحتجوا لهذه القراءة بأنها رسمت بالمصاحف بالتاء، وهو جمع سلامة في المؤنث، وعندهم أن جمع المؤنث السالم يكون للقليل والكثير، وإليه ذهب الكسائي، لأن الله تعالى قال: ﴿ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ لقمان: ٢٧، فليست كلمات الله قليلة⁽²⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ سبأ: ٣٧.

وقد يكون الحكم النحوي معززا لرسم المصحف عند فريق من القراء في اختيار القراءة، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴾ الإنسان: ٤، فقد قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي: ﴿سَلاسِلاً﴾ بالتنوين، وقرأ ابن كثير: ﴿سَلاسِلَ﴾ بغير ألف، وصل أو وقف، وقرأ أبو عمرو غير منونة في الوصل، والوقف بألف، وقرأ ابن عامر وحمزة: ﴿سَلاسِلَ﴾ بغير نون، ووقف حمزة بغير ألف، لأن (فَعَالِل) لا تنصرف، فقد ذكر النحاة أن كل جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدد أو حرفان خفيفان أو أكثر فإنه لا ينصرف في معرفة ولا نكرة نحو: مساجد⁽³⁾، قال الله تعالى: ﴿ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴾الحج: ٤٠.

وحجة من صرف أمران ذكرهما الفراء⁽⁴⁾، أحدهما: أن العرب تُجري ما لا يُجرى في الشعر، فلو كان خطأً ما أدخلوه في أشعارهم، فكذلك هؤلاء أجروا ﴿سَلاسِلاً﴾، قال الشاعر:

فما وَجْدُ أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ   رأين مَجَرًّا من حُوارٍ ومَصْرعا⁽⁵⁾

⁽¹⁾ حجة القراءات: ٤٥١، ٤٥٢ وينظر :الحجة في القراءات السبع: ١٤٤ .

⁽²⁾ حجة القراءات: ٧٢٦، ٧٢٧ وينظر : الحجة في القراءات السبع: ٢٣١ . ٢٣٢.

⁽³⁾ حجة القراءات: ٧٣٧.

⁽⁴⁾ معاني القرآن للفراء ٢١٤/٣، ٢١٨ وينظر : حجة القراءات: ٧٣٧.

⁽⁵⁾ نسبه الفراء إلى متمم بن نويرة، ينظر : معاني القرآن له ٢١٨/٣.

فأجرى روائم، وهي مما لا يجرى، والآخر: أنهم اتبعوا مرسوم المصاحف في الوصل والوقف لأنها مكتوبة بالألف ﴿ سَلَٰسِلَاْ ﴾ الإنسان: ٤ وإن لم تكن رأس آية، فهي تشاكل رؤوس الآيات لأن بعدها(١): ﴿ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾.

وقد يتبع القرّاء رسم المصحف في حذف حرف من الكلمة وإن كان فيه خروج على الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ القمر: ٦ وفي قوله تعالى: ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ القمر: ٨، فقد قرأ قالون عن نافع والبزي وأبو عمرو: ﴿يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِي﴾ بالياء في الوصل، وحذفها الباقون، وقرأ أهل الحجاز والبصرة: ﴿مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعي﴾ بالياء في الوصل، وأثبتها ابن كثير في الوقف، وإثبات الياء فيهما على الأصل، ويجوز حذفها لأن الكسرة تدل عليها، فمن أثبت الياء فحجته أن الياء سقطت في نحو (داعٍ) لسكونها وسكون التنوين، فإذا دخل الألف واللام زال التنوين فرجعت الياء، وقرأ الباقون بحذف الياء فيهما: ﴿ ٱلدَّاعِ ﴾ في الوصل والوقف إتباعا لرسم المصحف(٢).

ونجد حججا أخرى تدعم رسم المصحف في اختيار قراءة من القراءات، ومن ذلك ما استدل به القراء في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ﴾ الحجرات: ١٤، فقد قرأ أبو عمرو وحده: ﴿لا يألِتْكُم مِنْ أعْمَالِكُمْ﴾ بالهمز، يقال: ألَتَه السلطان يألِته ألْتاً مثل: ضربه يضربه ضرباً: إذا نقصه، وحجته إجماع الجميع على قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ الطور: ٢١، فردّ ما اختُلف فيه إلى ما أُجمع عليه أولى عندهم، وقرأ الباقون: ﴿ لَا يَلِتْكُم ﴾ من لاتَ يَلِيتُ إذا نقص، كما قال مجاهد، واحتجوا لهذه القراءة اتباع مرسوم المصحف، وذلك لأنها مكتوبة بغير الألف، ولو كانت بألف لكتبت الألف كما تكتب في: يأمر ويأبق، ومما يعزز قراءة هؤلاء ما حكاه الكسائي أن في حرف ابن مسعود ﴿وما لِتناهم﴾، وهناك حجة أخرى يدعمون بها هذه القراءة هي أنهم جمعوا بين اللغتين فقرؤوا هنا: ﴿ يَلِتْكُم ﴾ وفي سورة الطور: ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم ﴾ [الآية: ٢١]، كما قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ﴾ العنكبوت: ١٩، فهذه من: أبدأت، ثم قال: ﴿ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ العنكبوت: ٢٠، وهذه من: بدأت، والأصل في ﴿ لَا يَلِتْكُم ﴾: لا يليتكم، واستثقلوا الكسرة على الياء فنقلوها إلى اللام، ودخل الجزم على التاء فاجتمع ساكنان، الياء والتاء فحذفت الياء لاجتماع الساكنين(٣).

رابعا: الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف

يعد الحديث النبوي الشريف وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، دليلا آخر عند القراء في اختيار القراءة، ومثال ذلك ما احتج به القراء في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ البقرة: ٢٣٧ فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿ تُمَاسُّوهنَّ﴾ بضم التاء

---

(١) حجة القراءات: ٧٣٧، ٧٣٨.

(٢) حجة القراءات: ٦٨٩ وينظر: الهجاء لأبي حيان: ٦٨ .

(٣) حجة القراءات: ٦٧٦، ٦٧٧ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٣/٤١٤، ٤٢٥.

وبالألف، جعلا الفعل لاثنين، لأن كل واحد من الزوجين يمس بالوطء أو المباشرة فهو من باب المفاعلة، وذهبا إلى أن المسيس وإن كان من الرجل فالمرأة مشاركة فيه، وكلُّ ماسٍّ شيئا فالممسوس ماسٌّ له، وكذلك الملاقي، واحتجا بقوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ المجادلة: ٣ وقوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ المجادلة: ٤ على إسناد الفعل إليهما، في حين نجد أن بقية القراء قرؤوا هذه الآية: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ بفتح التاء وحذف الألف حيث كان، وهو: مَسِسَ امرأته: أي جامعها، وذلك لأن الرجل هو المتفرد بالوطء دون المرأة، احتجوا بإجماع القراء على حذف الألف في قوله تعالى مخبرا عن قول مريم عليها السلام: ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ مريم: ٢٠ ولم يقل: (يُماسَّني)، ويعضد هذه القراءة قوله ﷺ: (وإنْ شاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أنْ يمَسَّ)(١) (٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ آل عمران: ٤٥، فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَبْشُرُكِ﴾ بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين أي: يسرك ويفرحك، يقال: بَشَرت الرجل أبشُره إذا فرحته، وحجتهما قول النبي ﷺ: (هَلْ أَنْتَ بَاشِرُنا بِخَيْرٍ)، وقراءة الباقين: ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ بضم الياء وفتح الباء وتشديد الشين المضمومة في كل القرآن، أي: يخبِّرك، يقال: بشّرته أُبشِّره، أي: أخبرته بما أظهر في بشرة وجهه من السرور، وحجتهم قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ هود: ٧١ وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الحج: ٣٧، قال الكسائي وأبو عبيدة: هما لغتان(٣).

ويكون التفسير حجة لمن يختار قراءة معينة ويكون الحديث حجة تعضد التفسير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران: ١٢٥، فقد اختار ابن كثير وأبو عمرو وعاصم القراءة بكسر الواو في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي: معلِّمين، وهو مأخوذ من السُّومة وهي العلامة، وحجتهم ما جاء في تفسير هذه الآية وهو قول مجاهد: كانوا سوَّموا نواصي خيولهم بالصوف الأبيض، فهم على هذا التفسير؛ مسوِّمين، لأنهم فاعلون، ومما يعزز ذلك ورود الأخبار بأن الملائكة نزلت على رسول الله ﷺ معتمّين بعمائم صفر فأضافوا الاعتمام إليهم، ولم يقل: معمَّمين، فيكونوا مفعولين وتكون القراءة بفتح الواو، قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوم بدر: (سَوِّمُوا فَإِنَّ المَلائِكَةَ قَدْ سَوَّمَتْ)، فنسب الفعل إلى الملائكة، ولذلك أعلم حمزة في ذلك اليوم بريشة نعام، ونجد القراء الآخرين قرؤوا: ﴿مُسَوَّمِينَ﴾ بفتح الواو، وحجتهم ﴿يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ آل عمران: ١٢٤ لما كان فتح الزاي مجمعا عليه فحمل عليه، فكأنهم أُنزِلوا مسوَّمين(٤).

وقد نجد الحديث معزَّزا بقول أحد الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذلك ما ورد في الاختلاف في قراءة قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡ﴾ الأعراف: ٤٤، فقد قرأ الكسائي وحده: ﴿قالوا نَعِم﴾ بفتح النون وكسر العين حيث ورد، وحجته ما روي في الحديث: (أَنَّ رَجُلاً لَقِيَ النَّبيَّ ﷺ بِمِنَى فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيّ؟ فَقَالَ: نَعِم) بكسر العين، وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل

---

(١) هذا قطعة من حديث للنبي ﷺ، ينظر: صحيح البخاري، كتاب الطلاق ٢٦٨/٣.

(٢) حجة القراءات السبع: ٤٤ وحجة القراءات: ١٣٧، ١٣٨.

(٣) حجة القراءات: ١٦٢، وينظر: الحجة في القراءات السبع: ٥١.

(٤) الحجة في القراءات السبع: ٥٥ وحجة القراءات: ١٧٣، وينظر: ٢٠٨، ٢٥٦، ٤١٠، ٦٠٦.

رجلا شيئا فقال: نَعَم، فقال: قل نَعِم، إنما النَّعَم الإبل، وقرأ الباقون: ﴿قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ بفتح العين في كل القرآن⁽¹⁾، وهما لغتان⁽²⁾.

ومنه ما ورد في قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾الأنعام: ١٥٩، فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿فَارَقُوا﴾ بالألف، وكذلك قرأ بالألف في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾الروم: ٣٢، وهو بمعنى: تركوه وانصرفوا عنه، وحجتهما في ذلك ما روى أبو هريرة من أن النبي ﷺ كان يقرأ ﴿فَارَقُوا﴾ بألف، وكذلك روي أن رجلا قرأ عند علي بن أبي طالب ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾، فقال علي: لا والله ما فرَّقوه ولكن فارقوه، ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِيْنَهُمْ﴾ أي: تركوا دينهم الحق الذي أمرهم الله باتّباعه ودعاهم إليه، وقرأ الباقون: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ بتشديد الراء من غير ألف من التفريق، أي: جعلوا دينهم فرقا، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وحجتهم في ذلك قوله تعالى بعده: ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ أي: أحزابا وفرقا، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ النساء: ١٥٠، والمعنيان في القراءتين متقاربان لأنهم إذا فرَّقوا الدين فقد فارقوه كله⁽³⁾.

خامساً: الاحتجاج بالشعر

وعول القراء كثيرا على الشعر وجعلوه دليلا مهما لاختيارهم قراءة معينة، واحتجوا بطائفة كبيرة من الأبيات الشعرية وأنصاف الأبيات والأرجاز، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾البقرة: ٦١، فقد قرأ نافع وحده: ﴿ويَقْتُلُونَ النَّبيئينَ﴾ بالهمز من أنبأ، أي: أخبر به عن الله تعالى كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا﴾التحريم: ٣، فالنبي ﷺ ينبئ، أي: يخبر عن الله تعالى وهو (فَعِيل) من أنبأ، والاسم منه مُنبئ، ولكنه صرف عن (مُفْعِل) إلى (فَعِيل)، وحجة نافع في ذلك قول عباس بن مرداس في مدحه للنبي ﷺ:

يا خاتِمَ النُّبَآءِ إنَّكَ مُرْسَلٌ   بالحَقِّ كلّ هُدَى السَّبيلِ هُداكا⁽⁴⁾

فقال: يا خاتم النُّبَآء، فجمعه على فُعَلاء لأن المفرد مهموز، فقد صحَّ على أن أصله الهمز وأنه من باب الصحيح لا من باب المعتل، لأن الصحيح كذا يجمع كما تجمع الصفات التي على فَعِيل من غير ذوات الياء والواو مثل: الشريك والشركاء والحكيم والحكماء والعليم والعلماء، ولو كان النبي غير مهموز لم يجمع على فُعلاء لأن الصفات التي تكون على فَعِيل من ذوات الياء والواو إنما تجمع على أفعلاء كما جمع وليّ ووصيّ ودعيّ على أولياء وأوصياء وأدعياء، ولا يجمع على فُعلاء، وقرأ الباقون: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بغير همز من: نبا ينبو إذا ارتفع، فيكون فَعيلاً من

---

[1] حجة القراءات: ٢٨٢ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٢٣٧/٢.

[2] قال ابن هشام الأنصاري: (نَعَم: بفتح العين وكنانة تكسرها، وبها قرأ الكسائي، وبعضهم يبدلها حاء وبها قرأ ابن مسعود، وبعضهم يكسر النون إتباعا لكسرة العين)، ينظر: مغني اللبيب ٦٥٠/١.

[3] حجة القراءات: ٢٧٨ وينظر: حجة القراءات السبع: ٨٢.

[4] ديوانه: ٢٥ وينظر: حجة القراءات: ٩٩ ولسان العرب (نبأ) ١٦٢/١، وفيه: بالخير كلُّ هدى.....

الرفعة، والنبوة: الارتفاع، وإنما قيل للنبيّ (نبيّ) لارتفاع منزلته وشرفه تشبيها له بالمكان المرتفع على ما حوله، واحتجوا لهذه القراءة بأن كلَّ ما في القرآن من جميع ذلك على أفعلاء نحو: أنبياء الله، وفي هذا حجة واضحة على أن مفرده بغير همز، كما جمع وليّ وأولياء ووصيّ وأوصياء، ولو كان المفرد مهموزاً لجمع على فُعَلاء، واحتجوا بحجة أخرى وهي ما روي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبيء الله، قال: لست نبيء الله ولكني نبيّ الله، قال أبو عبيد: كأنه كره الهمز لأن قريشا لا تهمز (١).

ومثله ما ورد في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ الكهف: ٨٦، فقد قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿في عَيْنٍ حَامِيَةٍ﴾ بالألف، أرادوا أنها عين حارة من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ القارعة: ١٠ - ١١، أي: حارة من: حميت تحمى فهي حامية، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ مهموزاً، أرادوا في عين سوداء وهي الحمأة التي تخرج من البئر، أي: الطين المنتن متغير اللون والطعم، واحتجوا بما روي في حديث ذي القرنين أنه رأى مغيب الشمس عند غروبها في ماء وطين تغرُب، وعززوا هذا المعنى بقول الشاعر:

في عَيْنِ ذي خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ(٢)

فالخُلْب: الطين، والثَّأْط: الحَمْأَة، والحَرْمَد: الأسود(٣).

وهذا لا ينفي قراءتها ﴿حَامِيَةٍ﴾، فلعل المعنيين يتقاربان، فمن الجائز أن تكون العين التي تغرب الشمس فيها حارة وذات حمأة وطينة سوداء، فتكون موصوفة بالحرارة وهي ذات حَمأة(٤).

ومنه ما قرئ به قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ﴾طه: ٦٤، فقد قرأ أبو عمرو وحده: ﴿فاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ بوصل الألف وفتح الميم، أي: جيئوا بكل كيد تقدرون عليه، وهو من: جمعت الشيء أجمعه، وحجته قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ طه: ٦٠ ولم يقل: (فأجمع)، في حين قرأ الباقون: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ﴾ بقطع الألف وكسر الميم، أي: أحكموا أمركم واعزموا عليه(٥)، وحجته قول الشاعر:

يا ليتَ شِعري والمُنَى لا تنفعُ   هل أغدونْ يوما وأمري مُجمَعُ(٦)

أي: قد أُحكِم وعُزِم عليه(٧).

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ٣١، ٣٢ وحجة القراءات: ٩٨ والكشف عن وجوه القراءات السبع: ١٥٥.

(٢) نسبه الخليل في العين (خلب) ٢٧٠/٤ إلى تبَّع يصف ذا القرنين وصدره: فرأى مغيب الشمس عند مآبها، وينظر: لسان العرب (أوب) ٢١٩/١.

(٣)العين (ثأط) ٤٤٤/٧ وينظر: (حرمد) ٣٣٥/٣ و(خلب) ٢٧٠/٤.

(٤) حجة القراءات: ٤٢٨، ٤٣٠.

(٥) ينظر: رسائل في اللغة لابن السيد البطليوسي: ٣٨٦.

(٦) بلا نسبة في حجة القراءات: ٤٥٧ ولسان العرب (جمع) ٥٧/٨.

(٧) حجة القراءات: ٤٥٦.

وقد يكون الاختلاف بين القراءات راجعا إلى تعدد اللغات الواردة في اللفظة، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ الكهف: ٨١ ، فقد قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾ بالتشديد في جميع القرآن، وقرأ الباقون: ﴿يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتخفيف، وهما لغتان، يقال: بدَّل وأبدل مثل نزَّل وأنزل، وحجة التشديد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾النحل: ١٠١ وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾يونس: ٦٤ فلم يقل: (لا إبدال)، وحجة التخفيف قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ النساء: ٢٠، فهذا قد يكون بمعنى الإبدال كما أن قوله:

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عَنْ ذَاكَ مُجِيبُ[1]

بمعنى: فلم يجبه.

ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أيضا، فقد قرأ ابن عامر: ﴿رُحُمَاً﴾ بضم الحاء، وحجته قول الشاعر:

وكَيْفَ بِظُلْمِ جَاريةٍ ومِنْها اللِّينُ والرُّحُمُ[2]

وقرأ الباقون: ﴿رُحْمًا﴾ بسكون الحاء، وهما لغتان مثل: الرُّعْب والرُّعُب[3].

وقد يكون الاختلاف راجعا إلى التأويل النحوي كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾النحل: ١٢، فقد قرأ ابن عامر: ﴿والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ مَسَخَّرَاتٌ﴾ بالرفع فيها كلها، لأنه لا يصلح عنده أن يقال: وسخَّرَ النجومَ مسخراتٍ، فقطعها عن ﴿سَخَّرَ﴾ لئلا يجعل الحال مؤكدة، فابتدأ الشمس والقمر والنجوم، وجعل ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ خبرا عنها، وروى حفص عن عاصم قراءة: ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ بالرفع وحدها، ونصب الباقي، فجعلها خبرا لمبتدأ محذوف: هي مسخراتٌ، فحذف المبتدأ لدلالة الخبر عليه، وقرأ الباقون جميع ذلك: ﴿والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ بالنصب، عطفا على ما قبله فأتى به على وجه واحد، وذلك لا يمتنع عندهم، لأن الحال تكون مؤكدة كقوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ البقرة: ٩١، ومثله قول الشاعر[4]:

أنا ابنُ دَارَةَ مَعْروفاً بِها نَسَبي وهل بِدَارَةَ يا لَلنّاس مِن عَار[5]

فقوله: معروفا بها نسبي حال أكدت مضمون الجملة الاسمية: أنا ابن دارة[6].

---

[1] صدره: وداع دعا يا من يجيب إلى الندى، وهو لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار، ينظر: الأمالي لأبي علي القالي ١٥١/٢ و لسان العرب (جوب) ٢٨٣/١.

[2] بلا نسبة في حجة القراءات: ٤٢٧، وفي لسان العرب (رحم) ٢٣١/١٢: الرُّحْم بسكون الحاء، قال: الرُّحْم والرُّحُم في اللغة: العطف والرحمة.

[3] الحجة للقراء السبعة ٩٩/٣ وحجة القراءات: ٤٢٧.

[4] وهو سالم بن دارة اليربوعي، شرح الشواهد للعيني ١٨٥/٢ وينظر: شرح ابن عقيل ٢٧٧/٢.

[5] وهو من شواهد سيبويه، ينظر: الكتاب ٧٩/٢.

[6] الحجة في القراءات السبع: ١٢٠، ١٢١ والحجة للقراء السبعة ٣/ ٣٢ . ٣٣ وحجة القراءات: ٣٨٦، ٣٨٧.

سادسا: الاحتجاج بالمسائل النحوية والصرفية

ونجد القراء يختلفون في قراءاتهم اعتمادا على المسائل النحوية والصرفية، وهذه المسائل متعددة الجوانب، وفيما يأتي بيان ذلك بشيء من التفصيل:

أ . التذكير والتأنيث:

اختلف القراء في مواضع متعددة من القرآن الكريم في قراءاتهم، فيذهب فريق إلى القراءة بالتذكير ويذهب الآخرون إلى القراءة بالتأنيث ولكل فريق حجته، ومن ذلك اختلافهم في قراءة قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الأنعام: ١٥٨، فقد ذهب حمزة والكسائي إلى قراءته بالياء: ﴿يَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ﴾، فقد قدرا محذوفا تقديره: جمع الملائكة، وذهب الباقون إلى قراءته بالتاء: ﴿ تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ على تقدير محذوف تقديره: جماعة الملائكة(١)، وذكر النحاة أن هذين الوجهين جائزان، قال الزجاج: الوجهان جميعا جائزان لأن الجماعة يلحقها اسم التأنيث لأن معناها معنى الجماعة، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير كما يقال: جمع الملائكة(٢).

وقد يتعلق التذكير أو التأنيث بتوجيه حكم الآية الإعرابي، ومثل ذلك ورد في قراءة قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ التوبة: ١١٧، فقد قرأ حمزة وحفص عن عاصم: ﴿يَزِيغُ﴾ بالياء، وقرأ الباقون وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿تزيغ﴾ بالتاء، وقد ذكر النحاة أن فعل جماعة يتقدم لمذكر أو مؤنث يجوز في الفعل التذكير والتأنيث، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ الحج: ٣٧ وقوله: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾ الأحزاب: ٥٢ على تقدير محذوف (جمع) . كما مر . وفي التأنيث يقدر محذوف (جماعة)، فمن قرأ ﴿يزيغ﴾ بالياء جعل في (كاد) اسما، وترتفع (القلوب) بـ ﴿يزيغ﴾ والتقدير: كاد الأمر يزيغ قلوب فريق منهم، وقدِّر هذا التقدير لأن (كاد) فعل و(يزيغ) فعل، والفعل لا يلي الفعل، وعلى هذه القراءة لا يجوز أن يرتفع (قلوب) بـ (كاد)، وعلى قراءة من قرأ: ﴿تزيغ﴾ بالتاء ارتفعت (قلوب) بـ (كاد)، فلا يجوز حينئذ إلا ﴿تزيغ﴾ بالتاء، لأن فيه إضمارا للقلوب ومعناه التأخير، والتقدير: من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ، وذكر الفراء أن التذكير والتأنيث يصحان في (كاد) و (يزيغ)، وعلل ذلك بقوله: "وكل فعل كان لجماع مذكر أو مؤنث فإن شئت أنثت فعله إذا قدمته، وإن شئت ذكرته"(٣)، ولما صح الوجهان ذكَّر الأول لأن بعده فعلا آخر ملتزما بالقلوب، ولأن الفعل الأول تباعد من (قلوب) وأنث الفعل (تزيغ) لقربه من (قلوب)، وذهب آخرون إلى أن الفعل (كاد) غير متصرف ولا يقال منه فاعل ولا مفعول به فذكّر وأنَّث (تزيغ) لأنه فعل مستقبل متصرف(٤).

وقد تكون علة أخرى للتذكير أو للتأنيث غير ذلك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ النساء: ٧٣ وقوله: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الأعراف: ٤٠ وقوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُم

---

(١) حجة القراءات: ٢٧٧.

(٢) حجة القراءات: ١٦٢، وينظر: ٣١١، ٤٠٥، ٧٢١ والمذكر والمؤنث للمبرد: ١٠٠.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٤٥٤.

(٤) الحجة للقراء السبعة ٢ /٣٤٤، ٣٤٥ وحجة القراءات: ٣٢٥، ٣٢٦.

عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾الأنفال: ٦٥ وقوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ الأنفال: ٦٦، فقد قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص والمفضَّل: ﴿لَّمْ تَكُنْ﴾ بالتاء لتأنيث المودة، وقرأ الباقون: ﴿لَّمْ يَكُنْ﴾ بالياء، وقرأ أبو عمرو: ﴿لا تُفتح﴾ بالتاء والتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿لا يُفتح﴾ بالياء والتخفيف، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: ﴿إِن يَكُن﴾ الأنفال: ٦٥ و ﴿فَإِن يَكُن﴾ الأنفال: ٦٦ بالياء فيهما، وقرأ أبو عمرو: ﴿وإن تكن منكم﴾ بالتاء والأخرى بالياء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء فيهما، فمن أنَّث فلأن الفاعل المسند إليه الفعل مؤنث في اللفظ، ومن ذكَّر فلأن التأنيث غير حقيقي، وحسَّن التذكيرَ الفصلُ الواقع بين الفعل والفاعل، لأن الفاصل صار كالعوض من علامة التأنيث[1].

ونجد أن مجيء الفاعل إذا كان اسما ظاهرا غير حقيقي التأنيث يجيز تذكير الفعل[2]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ الرعد: ١٦، فقد قرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: ﴿يَسْتَوِى﴾ بالياء، وحجتهم في ذلك أن تأنيث ﴿ٱلظُّلُمَـٰتُ﴾ غير حقيقي والفعل مقدم، فجاز تذكيره مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ البقرة: ٢٧٥، فقد ذهب إلى: الوعظ، كذلك ذهبوا في ﴿ٱلظُّلُمَـٰتُ﴾ إلى معنى المصدر، فيكون بمعنى: الإظلام والظلام، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ هود: ٦٧ يعني: الصياح، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم: ﴿تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ﴾ بالتاء، وحجتهم تأنيث الظلمات ولم يفصل بينه وبين الفعل بفاصل، فقد ذهبوا إلى اللفظ لا إلى المعنى[3].

وقد نجدهم يذهبون إلى حجة أخرى يعللون بها اختيارهم لقراءة معينة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ مريم: ٩٠ وفي ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ الشورى: ٥، فقد قرأ نافع والكسائي: ﴿يَكَادُ﴾ بالياء، وحجتهم في هذه القراءة أن السموات جمع قليل، والعرب تذكِّر فعل المؤنث إذا كان قليلا كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ التوبة: ٥، ولم يقل: (انسلخت)، ويقوي التذكير إجماع القراء على تذكير الفعل مع ملاصقته للمؤنث في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يوسف: ٣٠، ولم يقل: (وقالت نسوة)، قال ابن الأنباري: سألت ثعلبا: لم صار ذلك كذلك؟ فقال: لأن الجمع القليل قبل الكثير، والمذكر قبل المؤنث، فحمل الأول على الأول، وقرأ الباقون: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء لتأنيث السموات[4].

ب . الحكم الإعرابي:

ونجد الاختلاف في الحكم الإعرابي عاملا للاختلاف في اختيار القراءة القرآنية، ويكون ذلك في الأسماء والأفعال على حد سواء، وذلك على النحو الآتي:

---

[1] الحجة في القراءات السبع: ٦٣ وينظر: شرح ابن عقيل ٨٩/٢.

[2] شرح ابن عقيل ٨٨/٢.

[3] الحجة للقراء السبعة ٣/ ٨، ٩ وحجة القراءات: ٣٧٢، ٣٧٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٣٩٦.

[4] حجة القراءات: ٤٤٨، وينظر: ٦٤٠ ما جاء في قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ الشورى: ٥.

١ . الرفع والنصب:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ يس: ٣٩، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿والقَمَرُ﴾، بالرفع، وقرأ الباقون: ﴿ وَٱلْقَمَرَ ﴾ بالنصب، والنصب يكون على إضمار فعل، والتقدير: وقدرنا القمرَ قدرناه منازل، أي: ذا منازل، قال سيبويه: "وإن شئت قلت: زيدا ضربته، وإنما نصبه على إضمار فعل هذا يفسره، كأنك قلت: ضربتُ زيدا ضربتُه"(١)، وأما الرفع فيكون معطوفا على قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾، فهو عطف جملة على جملة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ يس: ٣٧، ويجوز أن يكون على الابتداء و ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ خبره(٢)، ويجوز رفعه على إضمار مبتدأ و ﴿قدرناه﴾ في موضع الحال من القمر(٣).

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ الجاثية: ٣٢، قرأ حمزة وحده: ﴿والساعةَ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون: ﴿وَٱلسَّاعَةُ ﴾ بالرفع، ورفعها من وجهين: أحدهما أن يعطف على الأول فيكون عطف جملة على جملة والمعنى يكون: وقيل: الساعة لا ريب فيها، والوجه الآخر أن يكون المعطوف محمولا على موضع (إنَّ) وما عملت فيه، وموضعها رفع، فشرط (إنَّ) إذا تم خبرها قبل العطف عليها كان الوجه الرفع، ومن نصب حمله على لفظ ﴿إنَّ﴾ مثل: إنَّ زيدا منطلق وعمرا قائم، وعطف بالواو لفظ (الساعة) لأنها من تمام قولهم، وموضع قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ رفع بأنه في موضع خبر إنَّ، وقد عاد الذكر إلى الاسم فكأنه قال: والساعة حقٌّ لأن قوله: لا ريب فيها في معنى حقّ(٤).

٢ . الرفع والجر:

ومنه قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ الكهف: ٤٤، فقد قرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقُّ ﴾ برفع ﴿ٱلْحَقُّ ﴾، وحجتهما أنهما جعلاه وصفا للولاية أي: الولايةُ الحقُّ لله، فـ ﴿الولايةُ﴾ مبتدأ و ﴿هنالك﴾ خبره، والعامل فيه الاستقرار المحذوف الذي قام ﴿هنالك﴾ مقامه، ويجوز أن يكون ﴿لله﴾ خبره، وقرأ الباقون: ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ بالجر، وحجتهم أنهم جعلوا (الحقّ) وصفا ﴿لله﴾ ﷻ، أي: لله ذي الحقِّ، وهو مصدر وصف به كما وصف بالعدل وبالسلام، وهما مصدران، والمعنى: أنه ذو الحق وذو العدل وذو السلام(٥).

ومثله قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ سبأ: ٣، قرأ نافع وابن عامر: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ بالرفع على المدح، أي: هو عالمُ، فهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو عالمُ الغيب، ويجوز أن يكون ﴿عَٰلِمُ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿لَا يَعْزُبُ

---

(١) الكتاب ١/٨١.

(٢) حجة القراءات: ٥٩٩، وينظر: معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٨ والحجة في القراءات السبع: ١٩١ وشرح ابن عقيل ٢/١٣٠، ١٣٣.

(٣) مشكل إعراب القرآن لابن أبي طالب القيسي ٢/٦٠٤ والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٥٥١.

(٤) الحجة في القراءات السبع: ٢١٢ والحجة للقراء السبعة ٣/٣٩٥، ٣٩٦ وحجة القراءات: ٦٦٢ وينظر: شرح ابن عقيل ١/٣٧٥، ٣٧٦.

(٥) الحجة للقراء السبعة ٣/ ٨٩ وحجة القراءات: ٤١٨ ومشكل إعراب القرآن ١/٤٤٢، ٤٤٣.

عَنۡهُ﴾، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ بالجر، على كونه صفة لله ﷻ، والمعنى: الحمد للهِ عالمِ الغيب، ويجوز أن يكون صفة لـ ﴿لربّي﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أو بدلا منه و ﴿وَرَبِّي﴾ مجرور بواو القسم[1].

٣ . النصب والجر:

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ المائدة: ٦، فقد ورد الاختلاف في قراءة قوله تعالى: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ بين الرفع والجر، وهذا الاختلاف جر إلى الاختلاف في الحكم الفقهي في غسل الرجلين، وسأعرض هذا الاختلاف بشيء من التوضيح[2].

قرأ نافع وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ بالنصب، وحجتهم في هذا الوجه أنهم عطفوا على ﴿وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾، وعلى هذا فقد وجب عندهم غسل الرجلين، ومما يعزز هذا ما ورد عن عبدالله بن عمر ﵄ قال: كنت أقرأ أنا والحسن والحسين قريبا من علي ﵁ وعنده ناس قد شغلوه فقرأنا ﴿وأرجلَكم﴾، فقال رجل: ﴿وأرجلِكم﴾ بالكسر، فسمع ذلك علي ﵁ فقال: ليس كما قلت، ثم تلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلَكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم﴾، وهذا من التقديم والتأخير في الكلام، وهو كثير في القرآن الكريم، منه قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾ المائدة: ٥، ثم قال: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ وعطف بـ ﴿المحصنات﴾ على ﴿الطيبات﴾ فكذلك ذلك في قوله ﴿وأرجلَكم﴾ عطف بها على ﴿وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾، وهناك حجج أخرى تعزز هذه القراءة[3].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿وَأَرْجُلِكُم﴾ بالجر عطفا على ﴿رُؤُوسِكُم﴾، وحجتهم في ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان، وقال الشعبي: نزل جبرائيل بالمسح، ألا ترى أنه أهمل ما كان مسحا ومسح ما كان غسلا في التيمم، والأصوب عند فقهاء الأمصار أن الغسل هو الواجب، ووجهوا قراءة ﴿وَأَرْجُلِكُم﴾ بالجر حملا على العامل الأقرب إلى المعمول للجوار، وهي في المعنى للأول، كما يقال: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ، فقد حملوه على الأقرب، وهو في المعنى نعت للجحر، وقد رد ابن خالويه هذا الوجه قال: "ولا وجه لمن ادّعى أن الأرجل مخفوضة بالجوار، لأن ذلك مستعمل في نظم الشعر للاضطرار وفي الأمثال، والقرآن لا يحمل على الضرورة، وألفاظ الأمثال"[4]، وهو الراجح من مذهب سيبويه قال: "ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ، فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم، وهو القياس، لأن الخرب نعت الجحر والجحر رفع، ولكن بعض العرب يجره"[5]، وجوزه الفراء فذكر أنّ الاسم يعطف على الاسم ومعناه يختلف كقوله تعالى:

---

[1] حجة القراءات: ٥٨١، وينظر: ٦٥٦ ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الدخان: ٦ ـ ٧.

[2] ينظر في تفصيل هذه المسألة: أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية: ٦٩ . ٧٣.

[3] حجة القراءات: ٢٢١ والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢٧٩، ٢٨٠ .

[4] حجة القراءات السبع: ٦٧.

[5] الكتاب ٤٣٦/١ وينظر: ٦٧.

﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴾ الواقعة: ١٧ - ١٨، ثم قال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٞ ﴾ الواقعة: ٢٢ وهنَّ لا يطاف بهنَّ على أزواجهن(١)، وقد اختلف النحاة في هذه المسألة بين مجيز ومانع(٢).

وعطفها على الرؤوس لا يوجب المسح كمسح الرؤوس لأن العرب تستعمل المسح على معنيين: أحدهما النضح والآخر الغسل، حكى أبو زيد: تمسحت للصلاة، أي: توضأت، وقال الراجز(٣):

أشليتُ (٤) عنزي ومسحتُ قَعْبي   ثمَّ تهيأتُ لشُربِ قأبِ(٥)

أراد: أنه غسله ليحلب فيه(٦).

٤ . البناء والإعراب:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي ﴾ الأعراف: ١٥٠، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم: ﴿ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ ﴾ بفتح النون والميم على البناء، جعلوا الاسمين اسما واحدا مثل: خمسةَ عشرَ، وكذلك قوله: ﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ (٧) لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي ﴾ طه: ٩٤، و فتحوا ابنَ عمَّ على البناء، على أنهما جعلا اسما واحدا مركبا وبني على الفتح، وهو مذهب سيبويه والبصريين(٨)، وقد بين الزجاج علة هذا البناء بكثرة الاستعمال قال: "فمن قال: ابنَ أمَّ بالفتح فإنه إنما فتحوا في ابنَ أمَّ وابنَ عمَّ لكثرة استعمالهم هذا الاسم: وأن النداء كلام محتمل للحذف فجعلوا (ابنَ) و (أمَّ) شيئا واحدا نحو: خمسةَ عشرَ"(٩)، وذكر آخرون أنهم أرادوا الندبة بـ (ابن أمّاه) كما تقول العرب: يا ابن عمّاه، والأصل: يا ابن أمّي، ثم قلبت الياء ألفا فصارت يا ابن أمّا، ثم حذفت الألف وبقيت الفتحة دليلا عليها وهو مذهب الكسائي والفراء وأبي عبيدة وحكي عن الأخفش(١٠)، وذكر ابن خالويه أن المبرد قال: "أراد (يا ابنَ أمّي)، فقلب من الياء ألفاً، فقال: يا ابن أُمّا، ثم حذف الألف استخفافا كما حذف الياء من قوله: يا ابنَ أمَّ، وجاز له قلب الياء ألفا لأن النداء قريب من الندبة، وهما قياس واحد إذا قلت: يا أمّاه"(١١) .

---

(١) معاني القرآن: ١/٣٠٢ و٣/١٢١، ١٢٢ وينظر: الحجة للقراء السبعة ٢/ ١١٢ وحجة القراءات: ٢٢١، ٢٢٣.

(٢) للمزيد في تفصيل ذلك ينظر: الحمل على الجوار في القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح الحموز: ٢٥ وما بعدها.

(٣) هو أبو نُخَيْلَة الراجز، ينظر: اللسان (قأب) ١/٦٥٧، (قعب) ٦٨٣، القعب: القدح الضخم، وقأب الماء: شربه.

(٤) أشليت الناقة والعنز: إذا دعوتهما لتحلبهما، إصلاح المنطق: ٢٨٣.

(٥) بلا نسبة في إصلاح المنطق لابن السكيت: ٢٨٣.

(٦) رسائل في اللغة: ٣٨٦، ٣٨٧.

(٧) وهي في الأصل ثلاث كلمات: (يا) و (ابن) و (أمّ)، ورسمت الهمزة على الواو لأنها مضمومة، ينظر: المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني: ١١٠، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسي: ٦٥.

(٨) الكتاب ٢/٢١٤ وينظر: ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي ٣/١٣٦، ١٣٧ وشرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣/٢٨٦.

(٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٢٣٦ وينظر: ٣/ ١٨٨ والحجة في القراءات السبع: ٩٠، ٩١.

(١٠) ارتشاف الضرب ٣/١٣٧ وشرح الأشموني ٣/٢٨٦ وينظر: معاني القرآن للأخفش: ٤٤٨.

(١١) الحجة في القراءات السبع: ٩٠، ٩١ وينظر: المقتضب للمبرد ٤/٢٥٢.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي وابن عامر: ﴿قَالَ ابنَ أَمِّ﴾ بالكسر، وهو مذهب الزجاج⁽¹⁾ وغيره، وذلك يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون أضاف (ابن) إلى (أمّ)، ففتحة (ابن) فتحة إعراب لأنه منادى، واجتزئ في (أمّ) بالكسرة عن الياء المحذوفة من غير تركيب، وكان الأصل إثباتها مثل: يا غلامَ غلامي، بإثبات الياء⁽²⁾، قال أبو حيان الأندلسي: "وأصحابنا يعتقدون أن ابن أمّ وابنة أمّ وابن عمّ وابنة عمّ حكمت العرب لهما بحكم اسم واحد وحذفوا الياء كحذفهم إياها من أحدَ عشرَ إذا أضافوه إليها"⁽³⁾، وتوجيه حذف الياء من ﴿يا ابن أمِّ﴾ والمنادى هنا (الابن) لا (الأمّ)، وهو مثل قولنا: يا غلامَ غلامي، فلم يجز حذف الياء من (غلامي) وحذفت من نحو: (يا قومِ) و (يا عبادِ)، لأن حذف الياء من (الأمّ) جائز تشبيها بياء الإضافة في قولنا: يا غلامِ، والآخر أن الاسمين جعلا اسما واحدا ، فتنزلا منزلة اسم واحد، ونوديا كما ينادى الواحد، فقولنا: يا ابن أمِّ كقولنا : يا ابن أخٍ، فهو بمنزلة قولنا: يا غلامِ ويا قومِ⁽⁴⁾، قال سيبويه: "وقد قالوا أيضا: يا ابن أمِّ ويا ابن عمِّ، كأنهم جعلوا الأول والآخر اسما، ثم أضافوا إلى الياء، كقولك: يا أحدَ عشرَ أقبلوا، وإن شئت قلت: حذفوا الياء لكثرة هذا في كلامهم"⁽⁵⁾.

ج . الخطاب والغيبة:

ويكون الاختلاف في القراءات ناتجا عن اختلاف القرّاء بالضمائر، فمنهم من جعلها ضمائر تكلم ومنهم من جعلها ضمائر خطاب أو غيبة، ونجد ذلك واضحا في جملة من الآيات القرآنية الكريمة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ يوسف: ٦٣، فقد قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَكْتَل﴾ بالياء، أي: أخونا يكتال، وقد وضح الفراء⁽⁶⁾ المعنى على هذه القراءة بأن من قال: ﴿يَكْتَل﴾ بالياء: قال يصيبه كيل نفسه، أي: انفراد كل واحد منهم بكيله، فجعل الفعل له خاصة لأنهم يزادون بحضوره كيل بعير، وحجتهما أنه قرب من الفعل فأسند إليه، وذهب الباقون إلى قراءته بالنون: ﴿نَكْتَلْ﴾، أي: أخبر بذلك عن جماعتهم وأدخل أخاهم في الكيل معهم، ودليلهم على هذا قوله: ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ أي: لغيبة أخينا، فأرسله معنا نكتل ما منعنا لغيبته، فإذا كان معنا اكتلنا نحن وهو ⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٣٦.

⁽²⁾ مشكل إعراب القرآن ١/٣٠٣ وارتشاف الضرب ٣/١٣٧.

⁽³⁾ ارتشاف الضرب ٣/١٣٧، وينظر: شرح الأشموني ٣/٢٨٦.

⁽⁴⁾ حجة القراءات: ٢٩٧، ٢٩٨.

⁽⁵⁾ الكتاب ٢/٢١٤ وينظر: المقتضب ٤/٢٥١ والحجة للقراء السبعة ٢/٢٧٤.

⁽⁶⁾ معاني القرآن للفراء ٢/٤٩.

⁽⁷⁾ الحجة في القراءات السبع: ١١٢ وحجة القراءات: ٣٦١، ٣٦٢.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾ النحل: ٤٨ ، فقد قرأه حمزة والكسائي: ﴿تَرَوا﴾ بالتاء على الخطاب، وقرأ الباقون بالياء: ﴿ يَرَوۡاْ ﴾ إخبارا عن غُيَّب وتوبيخا لهم⁽¹⁾.

وقد يكون الاختلاف في الانصراف إلى الخطاب بعد الغيبة على سبيل الالتفات، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴾ الإسراء: ٢، فقد قرأ أبو عمرو وحده: ﴿ يَتَّخِذُواْ ﴾ بالياء، فقد رده على بني إسرائيل، وحجته أن الفعل قرب من الخبر عن بني إسرائيل، فجعل الفعل مسندا إليهم إذ قال: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ والمعنى: جعلناه هدى لبني إسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا، وقرأ الباقون: ﴿ تَتَّخِذُواْ ﴾ بالتاء، على أنه جعل النبي عليه السلام مواجها لهم بالخطاب، وهو انصراف إلى الخطاب بعد الغيبة كقوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة: ٢، ثم قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ الفاتحة: ٥، فالضمير في ﴿ تَتَّخِذُواْ ﴾ وإن كان على لفظ الخطاب فإنما يعنى به الغيبة في المعنى⁽²⁾.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم، ط ١٩٧٨/٢، المطبعة العصرية، الكويت.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق مصطفى أحمد النماس، ط ١٩٨٤/١، مطبعة النسر الذهبي.
- إصلاح المنطق لابن السكيت (ت٢٤٤هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ١٩٧٠/٢، دار المعارف بمصر.
- الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي، سيدي عبد القادر بن محمد محمود الطفيل، ط ١٩٩٧/١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى . طرابلس.
- الأمالي لأبي علي القالي (ت٣٥٦هـ)، عني به محمد عبد الجواد الأصمعي، ط ١٩٢٦/٢، دار الكتب المصرية.
- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين أبي عبدالله محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، قدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢٠٠٧/١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

---

[1] حجة القراءات: ٣٩٠، ٣٩١، وينظر: ٣٩٢، ٣٩٣ في قراءة قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾ النحل: ٧٩.

[2] الحجة للقراء السبعة ٣/ ٤٨ وحجة القراءات: ٣٩٦، وينظر: ٥٥٦ في قراءة قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ الروم: ١١.

- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق سعد كريم الفقي، ط١/٢٠٠١، دار اليقين للنشر والتوزيع.
- التذكرة في القراءات لأبي الحسن طاهر بن عبد المنعم ابن غلبون (ت٣٩٩)، تحقيق الدكتور سعيد صالح زعيمة، ط ١/٢٠٠١، دار ابن خلدون، الإسكندرية.
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، ١/٢٠٠١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، ط ١/١٩٨٨، مطبعة العاني، بغداد.
- حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط ١/١٩٧٤، منشورات جامعة بنغازي.
- الحجة في القراءات السبع لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط ٢/٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي، ط ١/٢٠٠١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
- الحمل على الجوار في القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح أحمد الحموز، ط ١/١٩٨٥، مكتبة الرشيد، الرياض.
- ديوان العباس بن مرداس، تحقيق د. يحيى الجبوري، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد ١٩٦٨.
- رسائل في اللغة لابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ)، تحقيق الدكتور وليد محمد السراقبي، ط ١/٢٠٠٧، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، تأليف غانم قدوري الحمد، ط ١/ ١٩٨٢، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت . لبنان.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لبهاء الدين عبدالله بن عقيل (ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢٠/١٩٨٠، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- شرح الأشموني لألفية ابن مالك لأبي الحسن نور الدين علي نور الدين بن محمد الأشموني (ت٩٢٩هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، خلف الجامع الأزهر الشريف.

- شرح الشواهد لبدر الدين العيني (ت٨٠٥هـ)، مطبوع مع حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء الكتب العربية.
- صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، شركة مكتبة أحمد بن سعد بن نبهان وأولاده، سربايا . أندنوسيا.
- العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام . العراق، دار الرشيد، ١٩٨٢.
- الكتاب لسيبويه (ت١٨٠هـ)، عالم الكتب، بيروت.
- الكشاف لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ضبطه وراجعه يوسف الحمادي، نشر مكتبة مصر، مصر.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق أحمد مهدلي، ط ٢٠١١/١، كتاب ناشرون، لبنان.
- الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، ط ٢٠١١/٢، مؤسسة الرسالة.
- لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ)، ط ١٤١٤/٣هـ، نشر دار صادر، بيروت . لبنان.
- المحكم في نقط المصحف لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط /٢٠٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
- المذكر والمؤنث لأبي العباس المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادي، ط ١٩٩٦/٢،نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- المسائل العكبريات في اللغة والنحو والقراءات لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران، منشورات الهيأة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٨.
- مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق حاتم صالح الضامن، ١٩٧٥، دار الحرية للطباعة، وزارة الإعلام . بغداد.
- معاني القرآن لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، ط ١٩٨٣/٣، عالم الكتب، بيروت . لبنان.
- معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (ت٢٠٧هـ وغيرها)، تحقيق الدكتور عبد الأمير الورد، ط ٢٠٠٣/١، عالم الكتب، بيروت . لبنان.

- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، علق عليه ووضع حواشيه أحمد فتحي عبد الرحمن، ط ٢٠٠٧/١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١)، أشرف عليه وراجعه الدكتور إميل بديع يعقوب، ط ١٩٨٨/١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- المُنخَّل مختصر إصلاح المنطق للوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي (ت٤١٨هـ)، تحقيق الدكتور جمال طلبة، ط ١٩٩٤/١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
- النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
- الهجاء لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق الدكتور تركي بن سهو العتيبي، ط ٢٠٠٩/٢، دار صادر، بيروت . لبنان.